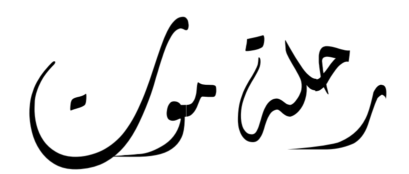

رحلة موت

* الكتاب: رحلة موت (رواية)
* الكاتب: أمير فهمي
* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى
* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى
* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى
* رقم الإيداع: 11315/ 2022
* الترقيم الدولي: 978-977-6914-87-2

المدير العام: عزيز عثمان
لمراسلة الدار: **daralmuntadaa@gmail.com**
واتس آب: 01005186476
صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

صدر عن دار العنقاء للنشر والتوزيع
بالتعاون مع دار المنتدى للنشر والتوزيع











جميع الحقوق محفوظة لدار المنتدى للنشر والتوزيع

كل ما ورد في هذا العمل مسئولية مؤلفه، من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلًا له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر.

(روايـــــــــة)

رحلة موت

للكاتب

أمير فهمي





الشيخ مبروك

وقف هاني أمام تلك النافذة الممتدة لكامل قامته، وتبدو من ورائها تلك الألوان المختلطة بين الأصفر من الرمال والأخضر من النخل الكثيف الممتد، لم يكن حقيقة ينظر إلىٰ الرمال والنخل، بل كان ينظر إلىٰ تلك البقع الصغيرة الملتصقة بالزجاج، ثم بهدوء أخرج الهاتف اللا سلكي وضغط زرا وهو يقول باقتضاب: «شوف (نسيم) فين وهاته علىٰ المطعم»، قال «هاني» بصرامة، ثم أغلق الجهاز، وبعد دقائق قليلة وصل «نسيم» مترقبا لما قد يكون سبب الاستدعاء، استلم «سليم» الوظيفة الجديدة منذ أقل من أسبوع، في ذلك الفندق البعيد في تلك الواحة التي تبعد حوالي أربعة عشر ساعة عن القاهرة، وللحقيقة أن اندهاشه بذلك المرتب السخي تبخر وقت وصوله، وذلك عندما أدرك طبيعة المكان الذي يقبع في وسط واحة شاسعة، لا يوجد بها سوىٰ رمال ونخل وبركة ماء، حتىٰ أن الاتصالات كانت في غاية الصعوبة، لذلك يستخدم العاملون بالفندق أجهزة اللا سلكي للتواصل بينهم، ولكنه كان متحمسا للغاية للوظيفة الجديدة، كان مديره «مستر هاني» أحد أهم أسباب حماسه وإقباله علىٰ العمل بنشاط، رغم الكم الهائل من السخرية التي يصيبه بها دائما بسبب أو بدون، ولكنه يعرف أنه سيتعلم الكثير منه.

— «تعالىٰ بص علىٰ الشباك ده» بادره «هاني» مباشرة.

بدون تردد توجه إلىٰ النافذة التي يقف أمامها «هاني»، ونظر إلىٰ الخارج آملا أن يعرف ما الخطأ الذي ينظر إليه، لم ير شيئا غريبا فقال في خوف: «مش شايف حاجة غريبة مستر هاني». فالتفت إليه «هاني» ببطء وهو يقول بلهجته الساخرة المعتادة:

- عشان أنا قلت لك بص علىٰ الشباك، مش بص من الشباك، مستر نسيم.

أدرك «نسيم» خطأه سريعا، فدخل مسرعا إلىٰ المطعم وأحضر أحد عمال النظافة، وهو يشير إلىٰ البقع التي أشار إليها «هاني» سابقا، بدأ العامل في نظافة الشباك، ومن خلفة «نسيم» يؤنبه بعنف علىٰ ذلك الخطأ، وهو ينظر بطرف عينه إلىٰ «هاني» يراقب ردة فعله. وعندما انتهىٰ العامل صرفه «نسيم» وهو ما زال يوبخه بعنف.

التفت «هاني» إليه وهو يقول بجدية:

- بص يا «نسيم»، أنت لسه جديد هنا، وأنا بعرفك كل حاجة، عشان أنت هتبقىٰ عيني طول ما أنا مش موجود، إوعىٰ تستنىٰ الغلط يحصل وتصلحه... لازم تشوفه هايحصل فين وتمنعه، ولو عايز تفهم حاجة، تسألني أنا متسألش حد غيري... فاهم؟
- تمام «مستر هاني» هو في شوية حاجات عايز أفهمها.
- «لا... أنا مش فاضي لأسئلتك دي»، قال هاني بلهجة صارمة، وهو ينظر إلىٰ «نسيم»، فارتبك «نسيم»، واعتذر له، وهم بالذهاب مندهشا من التناقض الذي حدث لتوه.

فالتفت هاني إلىٰ النافذة مرة أخرىٰ، وهو يقول بلهجة ساخرة:

- تعالىٰ... ماتخافش... قول ...كنت عايز تسأل عن إيه؟

بدأ «نسيم» في طرح الكثير من الأسئلة المختصة بنظام العمل في الفندق، وبعد أن انتهىٰ من أسئلته وقبل أن يرحل، رجع إلىٰ «مستر هاني»، مرة أخرىٰ وهو يقول:

- آخر حاجة معلش يا مستر... هو إيه حكاية «الشيخ مبروك»؟ أنا سمعت عنه حاجات كتير بس معرفش إيه الصح وإيه الغلط فيهم.
- بص يا سيدي الشيخ مبروك ده أصلا كان صاحب الأرض اللي اتبنىٰ عليها الفندق اللي حضرتك شغال فيه المساعد بتاعي... مستر نسيم». تجاهل «نسيم» السخرية مرة أخرىٰ وواصل الأسئلة.
- طب كان صاحب الأرض ماشي... دلوقتي بيعمل إيه؟ وليه لسه قاعد في الاستراحة بتاعته؟ رغم أنها تعتبر جوة أرض الفندق؟
- ده كان اتفاقه مع صاحب الفندق لما جه أشترىٰ الأرض دي منه، أنه يفضل في استراحته.
- وصاحب الفندق وافق؟
- آه وافق طبعا، الأرض دي موقعها ممتاز للفندق، في قلب الواحة وجنب البركة والمقبرة، ومكنش طالب رقم كبير فيها،



بالعكس كان طالب رقم ميجبش نص تمنها الحقيقي، عشان كده صاحب الفندق وافق بدون تردد.

- بس هقول لك حاجة يا باشا بس مش عايز أضايقك.
- قول ولو ضايقتني هنفخك عادي.
- من ساعة لما جيت، وكنت بسمع أن معاملة شيخ مبروك اتغيرت تماما من ساعة لما الفندق ابتدا عن دلوقتي.
- «سمعت إيه؟»، سأل «هاني» وقد بدأ يشعر بالملل. فقال «نسيم» مسرعا:
- سمعت أن الأول، كان بيتعامل معاملة سيئة وبيروح له الباقي من أكل الزباين، إنما من فترة كده الدنيا ابتدت تتغير معاه، بقينا نودي له أحسن أكل، وساعات كمان الشيفات يبعتوا يسألوه تحب تأكل إيه ويعملوه مخصوص. ممكن أفهم ليه المعاملة كانت كده من الأول وليه اتغيرت؟
- الراجل أول ما أخدنا منه الأرض، كان عندي تعليمات من صاحب الفندق نفسه إني أطفشه، فكنت ببعت له بواقي أكل الزبائن، وكان المفروض نبعت له حد ينضف كل أسبوع، وكان لازم يبقي راجل -بناء علىٰ طلبه- فكنت ببعت له ست، ولما يرفض يدخلها الاستراحة، كنت بسيبه كام يوم وبعدين أبعت له راجل، وهو عمره ما اتكلم ولا اعترض، كان هادي ويتعامل مع الأمور ببساطة.
- وهو ده اللي خلاكم تغيروا المعاملة؟

- لا طبعا، اللي خلانا نغير المعاملة، أن الزباين كانت بتفتكر دايما أنه جزء من الفندق، ولما كانوا يروحوا ناحيته، يلاقوا الجنينة بتاعته شكلها حلو، وفيها نباتات ما شافوهاش قبل كده... ابتدوا يدخلوا يقعدوا معاه ويسألوا عن النباتات، وبعدين لقينا أن الزباين بتحب تقعد في الاستراحة بتاعته أكتر ما بيحبوا يقعدوا في اللوبي بتاع الفندق، وبعد شوية لقينا في زباين تيجي تسأل عليه بشخصه أكثر ما بيسألوا علىٰ البركة والمقبرة، التي تعتبر أكبر ميزة عندنا، ولما بلغت صاحب الفندق بالتطورات الجديدة قال لي أغير المعاملة، وأريحه علىٰ الآخر، وبدل ما كنا بنحاول نطفشه، بقينا بنحاول نرضيه علىٰ قد ما نقدر.
- طب هو الراجل ده مش من أهل المنطقة؟
- اه طبعا من جد جدة وهو هنا، وعيلته كبيرة جدا كمان، والأرض اللي حوالين الفندق كلها بتاعتهم.
- بس أنا اللي أعرفه، أن الجماعة دول بيعيشوا مع بعض، اشمعنىٰ الراجل ده عايش بعيد عنهم؟
- الشيخ مبروك كان عايش معاهم فعلا طول عمره، بس ربنا ما كتبلوش خلفة ولاد، ودي حاجة بتبقي سخيفة في المجتمع ده، والناس دي بردو بيفرق معاهم موضوع خلفة الولد، عشان اسم العيلة يفضل ممدود، فطبعا طالبوا عيلته أنه يتجوز تاني وواضح كده أنه كان بيحب مراته، عشان كده

مرضاش في الأول، لحد ما مراته نفسها طلبت منه يتجوز، عشان الخلفة، وفعلا اتجوز واحدة تانية، ده كلام السمسار اللي خلص معاه موضوع البيع.

- وجابت ولد؟
- جابت بنتين توأم. وعشان كده آمن أنه ده قضاء ربنا، وقرر أنه يسيب أهله وييجي يعيش هنا في الواحة، جنب البركة، وعمل الاستراحة دي لوحده، والأرض دي كلها كانت مزروعة لحد فترة صغيرة، لما كبر في السن، ومقدرش يراعي الأرض زي الأول، مراته الجديدة طلبت منه يرجعوا يعيشوا مع أهلهم لأن العيشة بقت صعبة، بس هو طبعا مرضيش يرجع، أخدت البنتين ورجعت لأهلها، لكن مراته القديمة مرضيتش تسيبه، خصوصا بعد ما بناته الأربعة اتجوزوا واحدة ورا التانية، وفضل هو ومراته عايشين لوحدهم، وبناتهم كانوا بيجيبوا لهم طلباتهم في كل زيارة.
- وهي فين مراته دي؟
- مراته ماتت من كام سنة، وبعدها جه صاحب الفندق، عرض عليه يشتري الأرض، لأنه عرف أن البركة دي فيها مية كويسة للاستشفاء، تقدر تجيب زباين للمكان، ووافق الراجل لأن مكنش عنده اختيارات تانية ومطلبش فلوس معينة، الرقم اللي عرضه عليه صاحب الفندق أخذه مع شرط الاحتفاظ بالاستراحة وموضوع الأكل والنظافة.

- انا سمعت كمان، أنه كل يوم بالليل بيطلع من استراحته ويمشي ناحية الصحراء، ويغيب ساعتين وساعات أكتر ويرجع، محدش عارف هو بيروح فين وبيعمل ايه؟
- لا دي الحاجة اللي ما نعرفهاش وأكيد يعني بيروح يتمشىٰ ولا يقابل حد من عيلته.
- تمام سيادتك، بس في حاجة أخيرة كنت عايز أسألك عليها؟
- قول.
- انا لما سألت علىٰ الفندق، قبل ماجي سمعت حكاية غريبة، أنا طبعا مش مصدقها، بس أتمنىٰ لو أتأكد من سيادتك... سمعت أن الواحة دي مدفون فيها ملك من أيام الفراعنة، ولما جت بعثات هنا زمان من برة، كانوا بيقولوا أن الواحة دي ملعونة، واللي هيعرف يوصل لقبر الملك هتنزل عليه لعنة.

التفت إليه مدير الفندق في هدوء وقال: «وأنت بقي مش مصدق أن الكلام ده حصل؟»

تراجع المساعد للخلف في قلق، وهو لا يدري ماذا يقول، ولكن مدير الفندق أطلق ضحكة مفاجأة، وربت علىٰ كتفه وقال: «أنت عارف ليه الناس بتحب أفلام الرعب؟»، لم يدر المساعد أيضا ماذا يقول، فأجاب مدير الفندق وهو لا ينتظر رد:

- «عشان بتوهمهم بالشجاعة، ولحظة الأمان اللي بعد الخضة، لما العفريت يطلع من ظهر البطل فجأة، دول الأسباب اللي بتخلي الناس يروحوا يتفرجوا عليها، والإشاعة بتاعة الواحة واللعنة والفراعنة أنا عارفها طبعا، بس مفيش أي حاجة غريبة هنا بتحصل من فترة، لكن زي ما بيقولوا «مفيش حاجة اسمها دعاية سيئة»، الإشاعات دي ساعات بتبقىٰ سبب للناس أنها تيجي الواحة، بس أنت لو حد من الزبائن وقفك وسألك. هتقول ايه؟
- هقول مفيش حاجة وأطمنهم سيادتك.
- غبي، إوعىٰ تقول كده، اللي هاتقوله إنك سمعت زيهم بس مفيش تأكيد من أي جهة علىٰ الموضوع، تسيب الموضوع مفتوح...ها... أنت فاكر أن الزباين لو عرفت أن مفيش لعنة هتيجي تاني؟...شوية الغموض اللي هنا، مع شوية الحكايات... هما اللي بيشغلونا، سيبك من البركة والصحراء... آه فيه ناس بتيجي عشان تستجم وتنسىٰ الدنيا... لكن ده موجود في أماكن كتير، شوية الغموض وحكايات اللعنة، هما اللي بيخلوا الزبون يفضل مكان عن غيره. فاهم؟
- تمام سيادتك.

****



مالك

جلس «مالك» علىٰ تلك السجادة الفاخرة كما اعتاد الجلوس، بدلا من الأريكة الناعمة، لأنه دائما ما كان يشعر بأن جلوس الأرض، يعيد إليه أصوله الريفية، كان مشدودا بمشاهدة مباراة لكرة القدم لفريقه المفضل أوروبيا، والذي يسافر مرتين في السنة إلىٰ ذلك البلد الأوروبي، لحضور مباراة فريقه ضد خصمه اللدود، يراقبه من خلف ستار المطبخ خادمه «أنس» منتظرا انتهاء الشوط الأول من المباراة، ليسرع بنظافة المكان من جبل التسالي والمشروبات الذي يتبقىٰ من «مالك»، ويقدم له جبلا جديدا استعدادا للشوط الثاني، كان «أنس» يبدو ودودا للغاية، ومسالما، صاحب ابتسامة عذبة، وكأنه يعلن دائما أنه في نعيم لم يكن يحلم به، وكان هذا أهم درس تعلمه من والده قبل رحيله «الناس دي يا أنس لو شافوا في عنيك نظرة حسد، أو حقد أو تمرد، مش هايقعدوك في بيتهم دقيقة، أنت خدام... دي شغلتنا ولازم نحافظ عليهم، ربنا خلق الناس طبقات ودرجات، إوعىٰ تحلم تكون زيهم، دي أرزاق، وربنا بيوزعها بمعرفته ودون ما يظلم حد، كل واحد بياخد نصيبه، ولازم تكون أمين، لأن الأمانة بتاعتك هتكون مفتاح رضا ربنا عنك، ولو ربنا يرضىٰ عليك كل الناس ترضىٰ عليك»

ولكن أنس لم يكن راضيا، وهو ينظر إلىٰ التسالي التي يضعها في الطبق الجديد، وهي تساوي مرتب شهر كامل مما يأخذه، وعندما

انتهىٰ من إعادة ملء الأطباق، ورجع إلىٰ مالك ظهرت تلك الابتسامة الراضية والعيون السعيدة.

رن هاتف «مالك» برقم أحد أصدقائه، فأخذ ينظر إلىٰ هاتفه وإلىٰ المباراة ثم أجاب علىٰ مضض:

- آلو!
- أيوة يا «مالك» أخبارك إيه؟
- أيوة يا «سعيد» عامل إيه؟
- بص أنا مش هاطول عليك، أنا في مشكلة كبيرة ومحتاج مساعدتك، معلش الموضوع كبير، بس والله أنت أول واحد جيت في بالي أكلمه.

فكر مالك أن الموضوع لابد أن يكون فيه فلوس. فقاطع «سعيد» أفكاره مستدركا في سرعة:

- أنا مش عايز فلوس مبدئيا، أنا بكلمك في حوار تاني خالص.
- يا عم ولو عايز، احنا اخوات.
- بص يا عم باختصار هحكيلك وأنت فكر بسرعة ورد عليا.
- ماشي.
- أنا طلعت رحلة الواحات مع ناس معرفهاش، كان في واحدة طالعة معايا، وفكست في الآخر، ولبست الأسبوع لوحدي، المهم حصل شوية حوارات كده ولقيت آثار.

- «نعم؟»، اعتدل «مالك» في جلسته وهو يسأل في اندهاش.
- هي مش أثار، هو تمثال واحد صغير.
- يا بني فكك من الاشتغالات دي، واحد قال لك معايا تمثال عايز أصرفه، الحوار ده قديم وكله نصب، اخلع منه أحسن.
- أنا عارف أن الحوار قديم، لكن الجديد أن مفيش حد معايا، أنا اللي لقيت التمثال، وشوفته بعيني قبل ما أكلمك.
- لقيته إزاي؟ وفين؟ وعرفت منين أنه حقيقي؟
- هقول لك، بص يا سيدي أنا طلعت رحلة في واحة من الواحات، حتة كلها صحرا مفيهاش أي حاجة، حتىٰ الشبكة... بتمشي بتاع اتنين كيلو في قلب الصحراء، لحد ما توصل، وده المكان اللي بكلمك منه دلوقتي، المهم... قلت اطلع اتمشىٰ لحد مكان الشبكة، وأكلم البت، وأنا واقف... سمعت صوت كلاب جامد، جاي من حته قدام، وكان قدامي زي جبل صغير كده، أو هضبة مش عارف اسمه، من كتر الملل اللي في المكان فكرت اطلع الجبل وأشوف وراه ايه، الجبل ده مشيت له حوالي اتنين كيلو بردة عن مكان الشبكة، وخلي بالك من المسافات اللي بقولها لك، مشيت شوية علىٰ صوت الكلاب، لحد ما شفتهم من بعيد، وبعدين لقيتهم سكتوا كلهم، وبصولي بتاع دقيقة كده، أنا قلت شكلي هتفشخ وها يهجموا عليا، بس اللي حصل انهم اتلموا ومشوا

بعيد، فا تشجعت، وروحت عند المكان اللي كانوا بيحفروا فيه. أنت معايا؟

- معاك، كمل.
- لقيت حفرة عمقها حوالي متر، وفي آخر الحفرة لقيت زي صندوق خشب قديم متآكل، افتكرته الأول أن في حاجة مدفونة، والكلاب عايزة تأكله، بس معرفش إيه خلاني أنزل وابص علىٰ الصندوق، لقيته صغير علىٰ أنه يبقىٰ فيه جثة أو حاجة ميتة، ولمحت مقبض الصندوق تحت شوية تراب، شلت التراب وفتحته لقيت تمثال فرعوني دهب، علىٰ شكل راجل براس قطة، الرجلين مدفونين في الرمل، جوة الصندوق، والنص اللي فوق هو اللي باين، حاولت أطلعه معرفتش، الرمل متحجر عالرجلين، قعدت أفكر أعمل ايه، بصراحة أنت أول واحد جه في دماغي أكلمه، رجعت عند الحتة اللي فيها الشبكة، وكلمتك عشان مش عارف أعمل إيه.
- واشمعنىٰ فكرت تكلمني أنا؟
- أنا عارف أنك جدع، ولو حد طلبك في أي حاجة بتقضيها له، وبصراحة موضوع زي ده عايز واحد عنده علاقات كويسة، وأنت معارفك كتير ودايرتك واسعة.
- طب أنت اتأكدت أنه أصلي؟ محدش بيسيب تمثال زي ده ويمشي.

- ما أنا فكرت في كده بس لقيت في احتمال من اتنين. الأول أن ده تمثال مدفون في قلب الصحراء بعيد بتاع أربعة كيلو عن أقرب مكان حيوي والكلاب شمت ريحة حاجة فكانت بتحفر تدور.
- ده الاحتمال السهل. والتاني.
- أن في حد كان عارف مكانه، وجه يحفر لحد ما وصل للصندوق، وبعدين راح يعمل حاجة وراجع مثلا.
- وده احتمال خطير.
- بالظبط، في كلا الاحتمالين أنا مش عارف اتصرف.
- في حد شافك وأنت رايح.
- لا مكنش في حد، غير واحد كبير في السن كده، بيقعد عند استراحة جنب الفندق، معرفش أن كانت تبع الفندق ولا لا، بس هو مكان مفتوح أي حد بيدخله، هو راجل طيب أوي وشكله مريح نفسيا، وعنده شوية نباتات نادرة، اللي عايز يخش يتفرج عليها عادي بيخش واللي بيسأله عن حاجة بيجاوبه.
- بس ده شافك رايح تتكلم في التليفون زي أي حد.
- آه محدش شافني من منطقة الشبكة لحد هنا غير الكلاب طبعا.
- طب أنت عايزني أساعدك إزاي؟

- عايزك تيجي تساعدني نطلعه، ونرجع بيه ويبقىٰ هات جاروف معاك أو حاجة نحفر بيها.
- آجي فين يا بني ١٤ ساعة سفر لحد عندك.
- عارف. بس الموضوع يستاهل، ده ممكن يكون في حاجات تانية تحت، لو حفرنا هنلاقيها.

فكر مالك قليلا، فهو لم يكن يهتم بالمال، والده يمتلك مصنعا ضخما للنسيج بمدينة المحلة، وهو يعيش وحيدا في القاهرة، لإدارة المعرض الكبير بشارع الأزهر، ولكنه كان سريع الملل، ويبحث عن كل ما هو جديد ومثير، كما كان شديد الفضول، أيضا مما جعله يقرر أن يذهب ويكمل تلك المغامرة الغريبة.

- اسمه ايه الفندق؟
- أحمس
- طب أنت هاتعمل ايه لحد ما أجيلك، أنا لسة علىٰ ما أظبط أموري، وبعدين ١٤ ساعة سفر.
- أنا مش عايز أسيب المكان وأمشي لحد ييجي ياخد الجمل بما حمل، وفي نفس الوقت المكان مفيهوش شبكة مش هاتعرف توصل لي.
- طيب هاتعرف تفضل موجود في المكان لحد ماجي؟
- الساعة دلوقتي عشرة، لو اتحركت دلوقتي هتجيلي علىٰ الساعة واحدة أو اتنين الضهر. أنا هفضل موجود مش هامشي لحد ما تيجي.

- هاتفضل قاعد في الصحرا طول الليل لوحدك؟
- مفيش حل تاني، أنت عارف أننا مش مهتم بموضوع الفلوس من زمان، لكن دي حاجة جت قدامك كده، هتخسر إيه؟ كلها ليلة في الصحرا... هتعدي... وبعدين القمر طالع اليومين دول والدنيا منورة، متقلقش، أنت بس شد حيلك، وهاتلاقيني مستنيك.
- طب هوصل الفندق واسأل علىٰ مكان الشبكة بس أنت بتقول كلها صحراء وجبال أعرف مكانك بالظبط إزاي؟
- أنا هارجع مكان التمثال دلوقتي وبكرة الساعة واحدة كده هتلاقيني عند منطقة الشبكة مستنيك.
- ماشي فكرة كويسة.
- أنت هتيجي بعربيتك ولا تركب أتوبيس؟
- هاجي بعربيتي أأمن.
- ماشي ياللا توكل علىٰ الله.
- استنىٰ بس، أنا كنت عايز أعرف إيه اللي وصلك اللي أنت فيه دلوقتي كنت بتقولي بنت وخلعت وكده، إيه حوارها البت دي ؟
- دي يا سيدي واحدة اسمها «هدير»، شغالة في شركة سفريات، بتعمل رحلات سياحة داخلية وكده، معرفش جابت رقمي منين... كلمتني عرضت عليا الرحلة، الأول... قلتلها مش مهتم وبتاع عشان معرفش حد طالع، وبعدين

هسيب أمي أسبوع لوحدها، أنت عارف إني عايش معاها من ساعة ما أخويا اتجوز البت الألمانية وسافر معاها، فضلت تزن ومصرة إني اطلع الرحلة، والغريب أن بعد كده طلبت تقابلني، طبعا قلت لها ماشي.

- طبعا.
- اتقابلنا في مكان في المعادي.
- وطبعا طلعت وحشة فشخ وشمال.
- أنا كنت متوقع كده بردو، قلت شكلها واقع وعايزة تشقط أي مغفل.
- وكانت عايزة إيه منك؟
- قبل عايزة إيه مني، مطلعتش ولا وحشة ولا شمال.
- بجد؟
- زي القمر، وجسمها نار، لدرجة أن أنا كنت مستغرب هي إزاي طلبت تقابلني عادي كده.
- كويس، وكانت عايزة إيه بردو؟
- بعد ما تكلمنا شوية عن شغلها وشغلي والدنيا، قالت لي أنها طالعة الرحلة لأن الشركة بتديهم رحلة مجانا كل تلات شهور، ودي آخر واحدة في الشهر ده، ولو مطلعتش هاتروح عليها، فأنا سخنت طبعا لأنها قالت لي أنها متعرفش حد طالع، وكمان مش بتحب جو الصحراء وبتحب الزيطة أكتر، قلت لها لو تحبي أنا ممكن أطلع معاكي.

- طبعا أنت ما صدقت.
- أنت فاهم بقي، والبت حلوة أوي الصراحة، قلت دي فرصة وقررت أطلع.
- وبعدين هي خلعت؟
- للأسف آه، بعد ما وصلت ميعاد ومكان الأتوبيس ملقتهاش، كلمتها... قالت لي مامتها تعبت فجأة ومش هاتعرف تيجي، وأنا طبعا كنت دفعت وأخذت إجازة من الشغل، فقلت أروح وخلاص، خصوصا أنها قالت لي أن لو مامتها بقت كويسة، ممكن تحصلني بعد يومين وطبعا بقالي أربع أيام هنا وهي مش بترد حتىٰ علىٰ التليفون.
- ماشي، أنا مش عايز أطول معاك عشان بطارية موبايلك.
- ماشي، أنا هكلمك بكرة علىٰ الساعة واحدة تكون وصلت، ولو متصلتش بيك، اسأل علىٰ مكان الشبكة، وهناك نتقابل إن شاء الله... سلام.

****



سعيد

عنـدما أدار «مالـك» محـرك سـيارته القويـة، وبـدأ في تلـك الرحلـة للواحات، لم يعرف تحديدا لماذا اهتم كثيرا بذلك الموضوع، هل هو الفضـول وحـب المغـامرة المعـروف عنـه؟ فهـو لـم يـتردد مطلقـا في الذهاب مع أي من أصدقائه لموضوع فيه مشكلة مـا، ولـيس أصـدقائه فقط، بل أصدقاء أصدقائه حتىٰ، أم هل هو حب السفر المشـهور عنـه، فعندما اختار سيارته لم يهتم بالمميزات الكثيرة التي راح مدير مبيعات ذلك المعرض -المشهور بالسيارات الفارهـة- يعرضـها عليـه، سـوىٰ ميزة أنها مريحة في السفر، وقويـة للغايـة لدرجـة أنهـا يمكـن أن تتسـلق الجبال- علىٰ حد وصف مدير المبيعـات - ثـم أخـذ يفكـر في صـديقه «محمد سعيد» نفسـه. «سـعيد» -كمـا يلقـب- معـروف بضـآلة جسـده الشـديدة، حتـىٰ أنـه تـم رفـض دخولـه الجـيش بسـبب ضـآلة جسـمه ونحوله الشديد، ولكنه كان يعوض ذلك بشخصية جذابة، فهو مثقف، ويمتلـك آفاقـا واسـعة، وخفـة دم لا يختلـف عليهـا اثنـان، حتـىٰ أن أصدقاءه لا يخرجون دون دعوته، ولكن مالك كان يعرف أن «سـعيد» يخفي الكثير من الإحباط والاكتئاب بداخله، بسبب جسـمه الضـئيل، لأن الجميع كانوا لا يأخذونه أبدا علىٰ محمـل الجـد، وكـان دائمـا مـا ينادي ممن لا يعرفونه ب «حبيبي» أو «كابتن».

لم يكن «مالك» و«سعيد» أصدقاء حقا، لأن «مالك» لم يكن له أبدا صديق مقرب، بل كانوا أقرب لتلك الكلمة الغامضة، «معارف»، كلمة مطاطة تحمل الكثير من الغموض، والاحتمالات، وبالإضافة لشخصية «سعيد» الجذابة، كان حجمه الصغير ولسانه اللبق، لا يجعلان أحد يرفض له أي طلب، بداية من أصدقائه جميعا، وحتىٰ موظفي الحكومة الذين ينهون الأوراق أو الطلبات حسب «وشك سمح ولا لأ»، ولكن مالك كان يمتلك تلك القناعة التي تعلمها من والده في مجال العمل، لكل شخص هاجس ما يسيطر عليه معظم حياته، وقد يتغير هذا الهاجس، أو يتبدل. فمعظم الناس يمتلكون هاجس الأموال، لا يفكرون سوىٰ في كيفية الحصول عليها، والاحتفاظ بها، ولكن من يملكون الأموال، لهم أيضا هواجسهم الخاصة، فالبعض يمتلك الأموال ولا يمتلك الأصدقاء، والبعض لا يمتلك حتىٰ عائلة، أو يعيش وحيدا مجبرا وليس باختياره، والبعض يمتلك هاجس الأطفال، إذا ما أراد له الله عدم الحصول عليهم، والبعض يمتلك هاجس في جسده مثل سعيد بضآلة حجمه أو صديقهم المشترك «هشام» ب بدانته المفرطة، والبعض يمتلك هاجس المخدرات، فلا يستطيع الصمود يوما دون شيئا يبلعه أو يستنشقه، والبعض هاجس الجنس الآخر، فلا يرضىٰ عن نفسه إلا بعد أن ترضىٰ عليه سيدة ما، لكل شخص هاجس ما، وبعض الناس تتقبل هذا الهاجس وتتعامل معه بذكاء وأحيانا تتجاهله تماما، حتىٰ «مالك» نفسه يمتلك هاجسه الخاص، وهو نجاحه الشخصي بعيدا عن والده



ولكنه يتقبله لأنه يستوعبه، فهو يدير معرض من أكبر معارض الاقمشة في مصر كلها، دون تتدخل إطلاقا من والده، فهو المسئول عن كل شيء، حتىٰ أكبر الصفقات، كان يتممها بنفسه ثم يخبر والده بما اتفق عليه بعد الانتهاء، والده أيضا كان دائما ما يدعمه في ذلك، ويوليه ثقته كاملة في إدارة هذا الصرح العملاق.

****



هدير

- «صباح الخير، مستر صفاء». قالت هدير في ابتسامة مصطنعة، وهي تخطو داخل مكتب السياحة التي تعمل به.
- «صباح الخير يا هدير، أخرتي بردو النهاردة».، أجاب مديرها الأستاذ «صفاء»، وهو يتحدث مع موظفة الاستقبال في الكتب.
- معلش والله يا مستر «صفاء»، كان في زبون معايا علىٰ التليفون والمكالمة طولت.
- زبون صاحي بدري كده؟
- أنت عارف يا مستر صفاء، أنا بشتغل ٢٤ ساعة في اليوم، ده أنا صاحية بدري مخصوص النهاردة عشان أجرب معاه الاتصال في أي وقت، وبعدين مطلعش لسة صاحي ولا حاجة ده لسه منمش أصلا، بقالي تلات أيام بحاول اوصله مش عارفة، جربت أكلمه الصبح بدري اوي النهاردة، وأخيرا رد عليا، طلع شغال في شفت بليل عشان كده مش بيرد طول اليوم.
- طب المهم خلصتي معايا؟
- لا لسه معصلج.

- طب حاولي تاني، أنت فاضلك تلاتة وتقفلي التارجت بتاع الشهر.
- متقلقش يا مستر «صفاء» هيطلع الرحلة دي، يعني هيطلع.
- أنا معرفش أنت بتعملي إيه عشان تحققي التارجت كل شهر؟ أنت عارفة، أنك أول واحدة تيجي الشركة وتحقق تارجت ست شهور ورا بعض، أنت ها تترقىٰ قريب علىٰ فكرة.
- لا والنبي يا مستر صفاء، مش عايزة ترقية، أنا عايزة تزودوا لي العمولة بس.
- أول مرة أشوف حد مش عايز يترقىٰ.
- الترقية يا مستر «صفاء» منصب حلو آه وراحة آه، بدل اللف علىٰ الزبائن -في التليفون طبعا-، بس أنا محتاجة الفلوس الفترة دي أكتر من أي حاجة.
- ماشي يا ستي، وأنا هشوفلك موضوع زيادة البونص دي، رغم أن سياسة الشركة صعبة في الموضوع ده، المعروف أن اللي يعمل شغل كويس يترقىٰ.
- ما أنت قلت بنفسك، محدش حقق ست شهور قبل كده، كل حاجة ممكن تتغير، أنت بس زق معايا وهي تمشي.
- ماشي خلصي تارجت الشهر ده ونشوف.
- تمام مستر صفاء، وشكرا أوي.

اتجهت هدير لمكتبها وقابلتها صديقتها «سالي» بابتسامة ذات معنىٰ... فقالت هدير وهي تشير إليها بيدها:

- عارفة هتقولي إيه؟
- المهم خلصتي معاه ولا خلع؟
- لسة، هايرد عليا النهاردة بالليل، بس مفيش حاجة اسمها يخلع، هيطلع يعني هيطلع.
- وجايبة الثقة دي منين؟
- أصله هايبقىٰ زي اللي قبله، هاروح أقابله وأبص له البصة إياها، وأقول له أنا طالعة لوحدي ومفيش حد يطلع معايا. بس كده، الشهامة هتاكله طبعا، ويقول لي: «أنا طالع معاكي»، وكده يبقىٰ فاضل اتنين غيره وأقفل الشهر السابع.
- الشهامة هي اللي هتاكله بردو؟ سألت «سالي»، وهي تغمز بعينيها، فانفعلت عليها «هدير» وهي تسأل:
- أومال إيه اللي هياكله؟ قصدك ايه؟
- قصدي دماغه يا حبيبتي، أنتي فهمتي إيه؟ قصدي أن دماغه هتاكله، المهم قولي لي...

كنت سمعاكي بتتكلمي مع «صفاء»، كانت عايزة منك إيه «مدام صفاء»؟

ضحكت هدير، وهي تضع يدها علىٰ فمها وتفتح جهاز الكمبيوتر الخاص بها...

- كان بيقول لي عشان التأخير وكده، بس أنا ظبطته خلاص.

- عارفة؟ أنا نفسي أعمل زيك كده، بدل ما أنا مش عارفة أجيب حد، وشكلي هترفد قريب.

فكرت هدير في داخلها، وهي تفهم ما تلمح إليه زميلتها.

- حبيبتي الموضوع مش كيميا، وأنا مش بعمل حاجة غلط.
- بس أنتي بتكدبي عليهم.
- طب ما أنتي بتكدبي عليهم، الفرق أن أنا بكدب عليهم وأنا بقابلهم، وأنت بتكدبي في التليفون.
- بس أنا مش بقول لهم أنا طالعة معاهم وأخلع، ولا بضحك عليهم، وأحسسهم أن أنا معجبة بيهم من أول نظرة.
- «بس بتقولي مميزات في الرحلات مش موجودة، وأنت عارفة أنها مش موجودة».

ثم وضعت يدها على أذنها وكأنها تمسك تليفونها، «ألو مستر محمد معايا، احنا شركة كبيرة، وهتوديك مكان مالوش حل، ونت مجاني، وحمام سباحة، وغرف فاخرة، وفي الآخر بيروح مايلاقيش حتى شبكة تليفون والبركة بتاع المية، بنقول عليها حمام سباحة، والأوض مبنية بالقش. يبقى بتكدبي ولا لا؟

- بس ده شغل، والشغل هو اللي بيطلب مني ده.
- أيوة وأنا مش معترضة، بس أنتي بتكدبي، وهما يكسبوا لأن احنا شغلنا مفيهوش مرتب تقريبا، الفلوس لو حققنا

التارجت بس، وأنتي تعرفي كام واحدة في الشركة بتحقق غيري؟

- «محدش». قالت «سالي» بحسرة
- عشان أنا عايزة أكسب، وأكسب الشركة بردو، لو عايزة أرضىٰ بقليلي زيك، مكنتش عملت كده، بس أنا عندي طموح أكبر من الشركة دي بكتير.
- وطموحك ايه بقىٰ يا محطمة القلوب؟ تجاهلت «هدير» السخرية الواضحة في سؤال زميلتها، وأجابت:
- الشغلانة دي بالنسبة لي خطوة بحوش منها فلوس عشان الخطوة الكبيرة بقي، نفسي أسافر أوروبا أو أستراليا.
- هتسافري لوحدك، افرضي جالك عريس؟ هتعملي إيه في خالتك؟
- والله لو النصيب جه... وها يعرف يسافر معايا ليه لا؟ وخالتي... ولادها نفسهم سابوها وسافروا، مجتش عليا بقىٰ.
- ربنا يقويكي مع أنها صعبانة عليا الست دي والله، جبتلك فطار هتلاقيه عندك في الدرج.
- حبيبتي حبيبتي.

****



اختفاء

«لـو سـمحت عـايز أعمـل بـلاغ، فـين مسـئول الأمـن اللـي هنـا؟» قـال مالك، وهو شديد التوتر لموظف الأمن الشبه نائم على باب ذلك الفندق في الواحات.

«خير يا أفندم، اؤمر» قالها الموظف مرعوبا، وهو يسمع كلمة بلاغ لأول مرة، ع أتى إلى ذلك المكان منذ حوالي السنة.

- «بقولك عايز أعمل بلبلاغ عن واحد صاحبي... كان نازل عندكم الفندق وبقاله يومين مختفي، فين الشرطة هنا؟» قالها مالك ونبرة صوته ترتفع بحدة.
- «طيب لحظة واحدة يا فندم».

وأخرج جهاز لا سلكي من جراب معلق بحزامه، وأخذ يبحث عن كيفية تشغيله لثواني، تبين مدى ارتباكه وقلة تدريبه، أو أن الموقف باغتة لدرجة كبيرة.

- «ألو سامح بيه... لو سمحت تجيلي عند البوابة ضروري، فندق أحمس يا باشا»

مرت ثواني ثم قال صوت غليظ: «في ايه؟».

- «في واحد معايا بيقول إنه عايز يقدم بلاغ في صاحبه».



مرت الثواني... «اتخانقوا يعني؟» قال الصوت الغليظ بنفاذ صبر.

- «لا يا فندم ده، بيقول أن صاحبه كان نزيل عندنا ومختفي من يومين».

ثواني أخرىٰ... «أنا جايلك»

مرت عدة دقائق في انتظار حضور الضابط، كان مالك فيها يبدو مذهولا، غير مصدق، فينظر إلىٰ الأرض سارحا ثم يهز رأسه بعنف لليمين واليسار، وكأنه ينفض غبار أفكاره المبعثرة ليحصل علىٰ فكرة واحدة واضحة، في ذلك المزيج المتشابك بداخل رأسه، ثم حاول جمع أفكاره منذ أن وصل إلىٰ الفندق وحتىٰ اللحظة الحالية.

لم يحدث أي اتصال بين مالك وسعيد بعد الاتصال الأول، حتىٰ أن جميع الأفكار السوداء مرت علىٰ ذهنه حتىٰ وصل إلىٰ الفندق، كان يشعر بالقلق الشديد، وما أن وصل للاستقبال، وقابلته الموظفة الموجودة في الاستقبال بتلك الابتسامة اللزجة، حتىٰ سأل علي «سعيد». وهل هو داخل الفندق أم لا؟ وعندما راجعت الموظفة البيانات أقر بأنه بالخارج منذ البارحة، ولم يعد بعد، وهنا فكر مالك في التصرف الصحيح هل يبقىٰ وينتظر؟ أم يذهب للبحث عنه؟ ثم وجه كلامه لموظفة الاستقبال «عايز مكان فيه شبكة».

- «حضرتك هتخرج من البوابة الرئيسية، هتلاقي لافتات إرشادية ها توجهك لمكان الشبكة، احنا طبعا هانركب برج

تقويــة قريــب أوي إن شــاء الله، بــس حضــرتك عــارف الإجـراءات و... » لـم يسـمع مالـك بـاقي الحـوار، بـل تـرك الموظفـة وذهـب خارجـا باتجـاه البـاب الرئيسـي مسترشـدا بالعلامات الموضوعة من الفندق، وسار لمدة تقارب الكيلو مـترين، مثلمـا قـال «سـعيد»، حتىٰ وجـد فتـاتين تتحـدثان في الهـاتف، وبينهـمـا مسـافة بعيـدة فعـرف أن هـذا هـو المكـان، ولكن ماذا بعد؟ حاول أولا أن يتصل مرة أخرىٰ بسعيد، لكن نفس الرسالة تعاد مرة أخرىٰ، الهاتف مغلق، التفت حوله في كل الاتجاهات، لربما يرىٰ شيئا ما يدله ولكنه لم ير شيئا، فكانت حيرة شديدة وشعر بعجز تام.

- «أيوة اتفضل، عايز تبلغ عن مين؟» قاطعه صوت غليظ بتلك الجملـة. فالتفـت لصـاحب الصـوت ليجـد شـاب في بدايـة الثلاثينـات، شـعر أسـود كثيـف، قـوي البنيـان، أنـف طويـل مدبب، يرتـدي ثيابـا مدنيـة، ولكـن بـروز مسدسـه مـن حزامـه يكشف هويته، مع تلك النبرة الحازمة في حديثه.
- «سعيد صـاحبي.. محمـد سـعيد اسـمه، كـان نـازل عنـدكم في الفندق وبقاله يومين مختفي»
- «اختفىٰ مرة واحدة! أنت كنت نازل معاه في نفس الرحلة؟».
- «لا أنا لسه جاي النهاردة، وهو المفروض كان مستنيني، بـس من ساعة ما وصلت مش عارف أوصل له».
- «لسة جاي النهاردة! وعرفت منين أن بقاله يومين مختفي؟»

- «مانا من ساعة ما طلعت من مصر، وبكلمه ومش عارف أوصل له».

نظر الضابط إلىٰ موظف الأمن الذي طلبه، بنظرة جانبية، تحمل بعض اللوم والاستخفاف، ثم عاد بنظره إلىٰ «مالك» قائلا بنفاذ صبر:

- «ما يمكن برا مع أصحابه في الصحرا، عاملين تخييم أو حاجة؟»
- «هو كان جاي هنا لوحده، وبعدين المفروض أنه كان مستنيني، لو سمحت حضرتك متضيعش وقت وابدأ اجراءاتك». كان «مالك» يتحدث بانفعال وعصبية، حتىٰ أن الضابط استشاط غضبا قائلا:
- «ماضيعش وقت! هو أنا بلعب معاك ولا ايه، الناس مش بتختفي فجأة كده في يوم وليلة، الناس أساسا بتيجي هنا عشان تختفي، ومفيش شبكة هنا غير في مناطق محددة، لو حضرتك مكنتش تعرف، فحتة اختفاء دي مش بالساهل»

كاد مالك أن يصعد الموضوع مع الضابط، ولكنه أخذ بضع ثواني ينظم أفكاره، فوجد أن موقف الضابط سليم، فهو لم يعرف ما يعرفه هو، لهذا يجب أن يتخذ إجراءاته بطريقة سليمة. لهذا سأل بشيء من الهدوء:

- «طب حضرتك شايف ايه اللي نعمله دلوقتي؟»



هدأ الضابط بعد قليل الانفعال وهو يقول: «حضرتك ممكن تستريح، وتسيبنا نشوف شغلنا، ونعرف أن كان صاحبك مختفي فعلا، ولا بيهزر معاك زي ما أنا متوقع».

- «ماشي أنا اخذت حجرة رقم تسعة، ومش هطلع منها غير لما حضرتك تبعت لي».
- «تمام مش مطلوب منك أكتر من كده»

****



الشيخ مبروك

صعد مالك إلىٰ الغرفة التي حجزها، ليعيد ترتيب أفكاره والأحداث مجددا، وبعد الاستحمام وتغيير ملابسه اتجه إلىٰ البلكونة، وجال ببصره في الصحراء الممتدة في كل الاتجاهات، فكر في كيفية الوصول لذلك المكان الذي وجد فيه سعيد التمثال.

فعندما يصل لمنطقة الشبكة تبدو كل الأمور متشابهة لدرجة كبيرة...

إذن كيف اختار سعيد الاتجاه الذي سار فيه؟! ثم تذكر أن سعيد أخبره بأنه سمع صوت كلاب، واتجه ناحية الصوت... علىٰ الفور توجه مالك لبوابة الفندق، وخرج ليعود لمنطقة الشبكة، أملا في سماع أصوات الكلاب مرة أخرىٰ، ثم ذهب إلىٰ سيارته، وأخذ الجاروف الصغير الذي أحضره معه أمانا وتفاؤلا، أن يكون «سعيد» فقط نائم بعد قضاء ليلة طويلة.

حمسته فكرة أن يكون سعيد نائما، وأن يكون كل شيء علىٰ ما يرام، حتىٰ أنه فكر في كيفية الاعتذار لمسئول الأمن عن الإزعاج، تحمس أكثر، حتىٰ أنه تذكر أن سعيد يقارب علي يومين بدون طعام، لهذا توجه لشراء بعض الطعام السريع، وكان الظلام قد بدأ ينسدل علىٰ الصحرا، ولكن القمر كان ساطعا كما أخبره «سعيد»، فشعر بأن الأمور ستسير علىٰ ما يرام، وأثناء مروره لمح بعض الحركة في مبنىٰ

قريب من الفندق، ولكن ليست في الاتجاه الذي يقصده، ولكنه قرر أن يذهب ليستطلع ما يحدث، ربما لمح أي دليل أو سمع أي شيء يوجهه إلىٰ صوت الكلاب، وعندما اقترب من ذلك المبنىٰ ذي الطابق الواحد أكثر، كان يبدو أجمل رغم بساطته، وربما كان هو سر جماله.

كانت استراحة محاطة بالنخيل من جميع الاتجاهات ما عدا مدخلها، وأسفل كل نخلة كانت توجد شجرة صغيرة ولكن شكلها غريب، أوراقها تبدو شديدة اللمعان وألوانها زاهية في وسط هذا الجو الصحراوي، وفوق مدخل الاستراحة كانت تنتشر أوراق تبدو مثل أوراق نبات العنب المستخدم في تظليل الأماكن من الشمس، ولكن أوراقها كانت أكبر حجما. شعر أن هذا المكان غريب ولكنه مريح وخاصة عندما بدأت الروائح الزكية تخترق أنفه وتنتشر في أعصابه ليسودها هذا الخدر الساحر، كل هذا جعله يدخل إلىٰ البوابة الكبيرة، المزخرفة بحديد علىٰ شكل فروع أشجار ملتوية ووجهه يحمل ابتسامة هادئة تلقائية، وعندما لمح شخص ما يجلس في الخارج، لم يكن ظاهرا بسبب جلوسه خلف إحدىٰ الشجيرات الصغيرة، أخفىٰ مالك الجاروف في كيس الطعام واقترب منه بهدوء.

للوهلة الأولىٰ، تصور مالك أنه الحارس علىٰ الاستراحة ولكن عندما اقترب منه ولمح هاتين العينين القويتين، والشعر الأبيض الكامل، الذي يغطي ذقنه غير المهذبة، وحاجباه الغليظان، وملامح الطيبة

والقوة في ذات الوقت، لم يشعر مالك أبدا أن هذا الرجل قد يكون حارسا.

- سلام عليكم يا حج.
- عليكم السلام.
- كنت عايز اسألك هو ايه المكان ده يا حج؟
- «ده مكانك يا بني».
- «العفو يا حج، قصدي يعني... أنا كنت فاكره تبع الفندق من بعيد، لكن لما قربت، حسيت أنه مش تبع الفندق».

ظهرت ابتسامة طفيفة علىٰ وجه الرجل للحظات لم يلاحظها مالك.

- «وايه اللي خلاك تفتكر كده؟».
- «المكان ده فيه روح كده وريحة حلوة ووشوش طيبة».
وأشار مالك باتجاه الرجل.
- «ربنا يعزك يا بني، ده من أصلك، المكان ده بيتي يا بني»
- بيت كرم، باين عليه، أنا اسمي مالك. اسم حضرتك ايه؟
- «اسمي مبروك، بس الناس بتقول لي الشيخ مبروك، مع إني ولا شيخ ولا حاجة»
- الشيخ، مش هو بس بتاع الفتاوىٰ يا شيخنا، الشيخ ده لقب بنقوله لأي حد عنده محبة وهيبة زيك كده»

- «الله يحفظك»، ابتسم مالك وهو ينظر إلىٰ داخل المنزل الكبير، حيث يجلس بعض الشباب وسط الاشجار النابضة بالحياة يتسامرون ويضحكون، ثم سأل:
- ومين الناس اللي في الجنينة دول؟ أنت بتأجره؟
- لا يا بني دول نزلاء الفندق، بييجوا يقعدوا شوية، ومرحب بيهم وبيك في أي وقت، كل من داس علىٰ أرض الواحة ضيفي، وبيتي بيته.
- يعني أنت فاتح بيتك كده لأي حد؟
- يجعل بيوت المؤمنين عمار يا بني.
- ربنا يزيدك يا حج.
- كنت جاي تسال علىٰ ايه؟
- عرفت منين إني جاي أسأل علىٰ حاجة؟
- لو مش عايز تسأل براحتك.
- بصراحة، أنا كان ليا واحد صاحبي نازل في الفندق، وبقالي يومين مش عارف أوصل له.
- الاتصالات هنا صعبة.
- آه مانا عارف، بس احنا كنا متفقين إني هاجيله، والمفروض يكون مستنيني في مكان هنا.
- «هتلاقيه دخل الصحراء مع زمايلك ويرجعوا.

تردد مالك قليلا وفكر في مصارحة الشيخ مبروك بكل شيء ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة سائلا:

- هو في كلاب بتسرح بالليل قريب من هنا؟

ظهر اهتمام مفاجئ علىٰ وجه الشيخ مبروك، وأشاح بوجهه باتجاه الصحراء للحظات ثم تغيرت النبرة الودودة لتحل محلها نبرة صارمة وهو يسأل:

«بتسأل علىٰ الكلاب ليه؟

أثار رد فعل «الشيخ مبروك» حيرة «مالك»، فيبدو أن ذكر الكلاب آثار شيئا ما بداخل «الشيخ مبروك» ونظرته السرحة إلىٰ الصحراء زادت من شكوكه.

- «أصل آخر مرة كلمني، كان بيتمشىٰ لوحده، وسرح في الصحرا شوية، وقال لي إنه كان سامع صوت كلاب».

مرت لحظات صمت، كان عم مبروك ينظر إلىٰ الأرض، حتىٰ أن مالك ارتاب فيه بشخصه، حيث يبدو أنه يعرف شيئا، وهم بسؤاله عما يعرفه ولكن عم مبروك بادره:

- «عارف المكان اللي كان بيتصل بيك منه؟» قال مبروك بنبرة لا مبالية.
- «ايوة عارفة مكان الشبكة». أشاح عم مبروك بيده وكأنه لا يهتم بالمسميات وقال:
- هتروح هناك لحد آخر يافطة متعلقة، ولما توصل خلي اليافطة علىٰ شمالك وامشي علىٰ طول، ده الاتجاه اللي صاحبك سمع فيه صوت الكلاب.

لم يصدق مالك ما سمعه، أخيرا عثر علىٰ اتجاه يبدأ منه.

- شكرا يا حاج.
- «بس يا بني». استوقفت إشارة من «الشيخ مبروك» «مالك»... خلي بالك من الكلاب، الكلاب مش زي ما أنت فاكرهم.
- حاضر يا حاج.
- تجيب صاحبك، وارجع علىٰ طول ومتروحوش هناك تاني.
- «هو في حاجة خطر هناك؟» سأل «مالك» في ريبة، فيبدو أن «الشيخ مبروك» يعلم شيئا ما، ربما هو صاحب التمثال ... قاطعه صوت مبروك وهو يستطرد بحزن:
- «الخطر من الإنسان مش من الكلاب ».

لم يفهم مالك تلك العبارة الأخيرة، ولكن القلق عاد إليه بشدة، وفكر أنه لا وقت ليضيع أكثر من ذلك، فودع الشيخ مبروك وذهب ليسير علىٰ الاتجاهات التي أرشده إليها الشيخ مبروك.

وعندما بدأت قدمه تغوص في رمال الواحة الناعمة، شرد بتفكيره في الشيخ مبروك... كان مالك دائما ما يشعر أنه أكبر ممن حوله في الفكر والشخصية، وحتىٰ أن كان من في مجلسه، تصل أعمارهم لضعف عمره، ولكن قوة شخصيته وحكمته بالإضافة لطوله الفارع وجسمه القوي، كان دائما ما يقابل بنظرات الاحترام والهيبة، ولكن عندما تحدث مع الشيخ مبروك، شعر أنه ضعيف أمام تلك الشخصية



الكاسحة الهادئة، فبرغم ضآلة جسد عم مبروك -مقارنة بجسده- كان يشعر ببعض الرهبة منه.

قال له والده ذات مرة «الشعر الأبيض هيبة، بس اوعي يخدعك»، ولكنه فهم ماذا قصد والده عندما قال هذا.

****



التمثال

كان «مالك» يعرف أنه سيصل لوجهته بعد حوالي اثنين كيلو متر، على حسابات «سعيد» أثناء مكالمته التليفونية، وقدر «مالك» أن خطوته تقدر بمتر تقريبا، إذن فالمطلوب منه السير حوالي ألفين خطوة ليصل إلى وجهته، بدأ السير «مالك» وهو يحمل الجاروف على كتفه وكيس الطعام في اليد الأخرى، وكان مسرورا في بداية الطريق لأن القمر ساطع بقوة وينير الصحراء، ولكن مع مرور الوقت والخطوات في السير، بدأ يلاحظ خيالات تلك التلال الصغيرة المنتشرة في كل مكان حوله، وبدأت تثير في نفسه بعض المخاوف، ولكنه كان يستجمع شجاعته، ويتذكر المواقف الصعبة التي مر بها، وتطلبت منه قوته الجسمانية والتي كانت دائما ما تنصفه، مالك كان طويل القامة وقوي الصدر والكتفين، فمنذ صغره وهو يهتم بالرياضة وخصوصا رفع الأثقال والملاكمة، مما عاد على جسده القوي المشدود، والذي طالما كان أصدقاؤه يستنجدون به في مواقف المشاحنات التي تحدث بين الشباب، فكان ظهور «مالك» بضخامته ووجه الأسمر الذي لا يخلو من الوسامة، وشعره المجعد، وهدوئه أثناء استماعه لطرفي الموضوع؛ يكسب صداقة الجميع، لأنه لا يتكلم من باب الدفاع عن صديقه أو أصدقائه، بل يتكلم دائما بالحق حتى وإن كان أصدقاؤه هم المخطئين، فيعتذر للخصوم بأدب لا ينم أبدا عن ضعف، لهذا دائما ما

كانت تلك المشاكل –وبعد تدخل مالك– تنتهي بأن يصير الخصوم أصدقاء، ويكون هو المشترك بينهم، لم يكن مالك يخاف شيئا ملموسا، فوالده قد علمه أن ينزع الخوف من قلبه، إلا مخافة الله سبحانه وتعالىٰ، وخوف أن يكون ظالما لطرف ضعيف، حتىٰ والده كان يشجعه علىٰ النزول مع أصدقائه أثناء المشاحنات، لا ليكون طرف، بل لينهي المشاحنة، ولكن أحيانا تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ويكون الخصوم غير مبالين بمنطق أو تعقل لحل الأزمة، بل يكون هدفهم فقط هو إشعال المشكلة للتنمر، أو لإثبات التفوق، أو لمجرد الثقة في أنهم سيفوزون في المعركة حتىٰ بوجود «مالك»، وهنا كان يتحول لوحش مفترس، تأذىٰ كثيرا، ولكنه أوذي أكثر ولم يتراجع مطلقا أمام أي عدد، حتىٰ وإن كان يعلم أن النتيجة ليست في صالحه، بل كان يتوجه نحو أقوىٰ منافسيه مباشرة ويهاجمه، وكان هذا من دروس أبيه أيضا «لو اضطريت تضرب... اضرب اكبر واحد» ولكنها كانت فعالة في معظم الحالات؛ فعندما يهاجم أكبر واحد قد يناله ضربة من الخلف أو أكثر من الباقيين، ولكن إذا تفوق علىٰ منافسه يذوب الباقيين من أمامه فورا.

سرح مالك في أفكاره وهو يعد خطواته حتىٰ اقترب من العدد المطلوب، فتوقف لحظات لالتقاط أنفاسه وشرب بعض المياه، كان قد اشترىٰ كشاف قوي بعيد المدىٰ قبل الانطلاق، فأضاءه ودار به دورة كاملة حتىٰ يرىٰ ما هو قادم، وأثناء إنارته لإحدىٰ التلال فجأة، لمح عينان تلمعان في الظلام، بل هم أربع عيون، أجفل مالك

للحظات، فانطفأ الكشاف منه مما زاد ارتباكه أكثر، وبعد لحظات عاد إنارة الكشاف وأعاد توجيهه سريعا إلىٰ تلك البقعة التي رأىٰ فيها العيون، ولكنه لم ير شيئا، أعاد إدارة الكشاف ببطء يمين ويسار التل، ولكن لا شيء، ارتبك مالك وشعر بتوتر، حتىٰ إنه راح يسأل نفسه «هل هي تخيلات؟ أو ربما انعكاس علىٰ أحد الصخور؟ هل السبب هو ضوء القمر؟ ولماذا لا يوجد أي صوت علىٰ الإطلاق؟» كان يتمنىٰ مالك سماع أي صوت حتىٰ لو صوت الكلاب، «ربما تكون الكلاب... ولكن هل تلمع عيون الكلاب في انعكاس الضوء مثل القطط والأسود؟!» تسائل...

«أسود! لا أعتقد بوجود أسود هنا، إذن هي قطط، لا أعتقد أنها كذلك أيضا، القطط حيوانات اجتماعية تعيش بالقرب من البشر، لا في قلب صحراء جرداء مثل هذه»

كانت الأفكار تتصارع داخل رأسه، لا يعرف هل ما رآه حقيقة، أم انعكاس بسيط، أم أنه بدأ مرحلة الهذيان بعد أكثر من يومين بلا نوم، هدأ للحظات بعد أن راوده هذا الخاطر.

سمع صوت النباح القوي وبعده صوت العواء، «ما هذا؟ هل هذا صوت كلاب أم ذئاب؟ وكيف يجتمع الاثنان في مكان واحد؟»، والأهم أنه لاحظ أن الصوت يأتي من عكس اتجاه الانعكاس الذي رآه، لا يعرف «مالك» لماذا –وهذا غريب بعض الشيء– اطمئن لسماع صوت الكلاب، ربما لأنه شعر أنه قد اقترب من مكان «سعيد»، لهذا جمع الأشياء وتوكل علىٰ الله واتجه باتجاه اصوات

الكـلاب، التـي مـا زالـت تنـبح وكأنهـا دليلـه، سـار مالـك كثيـرا وراء الصوت حتىٰ أن خطواته تعدت الثلاثة آلاف خطوة - واضح أن سعيد ليس الأفضل في تقدير المسافات- وأخيرا... اقترب من الصوت أكثر لمـح بعـض الأجسـام علـىٰ ضـوء الكشـاف مـن بعيـد، ويبـدو أن المجموعـة لمحتـه أيضـا، كانـت مجموعـة مـن الكـلاب بالفعـل تبـدو وكأنها تتصارع علىٰ شيء ما بينهم، هتف مالك بصوت عالي وهو يبدأ في الركض تجاههم «سعييييد»، وتوقفت الكلاب عـن الصـراع فجأة، ونظرت إليه للحظات مـرت عليـه كالـدهر، بعـد أن شـعر بـالخطر مـن ذلك التسـمر وتلـك النظـرات، ثـم تقـدم أضـخم الكـلاب خطـوتين في اتجاهه، ونبح بصوت عالي جدا، وكأنما يحذره، ثم بهـدوء تـام التفـت للاتجـاه الآخـر وتقـدم المجموعـة ليسـير بعيـدا، ولمـح مالـك أحـد الكلاب يمسك ذلك الشيء الذي كـانوا يتنـازعون عليـه، وجـره خلفـه وذهبوا بعيدا حتىٰ اختفوا عن دائرة الضوء.

تمالك مالك أنفاسه وأعصابه للحظات، ثم اتجه ناحية مكان تجمعهم منـذ لحظـات يسـير بخطـىٰ حـذرة، يتمسـك جيـدا بالجـاروف الصـغير الذي يحملـه، وهـو يؤكـد لنفسـه أن مـا كـان بحـوزة الكـلاب لـم يكـن صديقه، أو علىٰ الاقل جثته، لأن الجسم الذي كـانوا يتصـارعون عليـه أصـغر مـن أن يكـون جسـد إنسـان، اطمـئن بعـد الشـيء، وبـدأ ينـادي بصوت عال مرة أخرىٰ: «سعيد» ولكن ما من مجيب، وصـل «مالـك» إلـىٰ المكـان ووجـد حفـرة، تبـدو أنهـا ليسـت مـن آثـار نهـش الكـلاب، عمقها يتعدىٰ المتر، واتساعها يكفي لنزول رجل، نظر بداخلها فوجـد

ما كان سعيد يتكلم عنه تماما، صندوق صغير متهالك منزوع الغطاء، مغطىٰ بالرمل المتحجر داخل وخارج الصندوق، وبداخل الصندوق ظهر النصف العلوي لتمثال صغير، نزل مالك للحفرة وحاول انتشال التمثال، ولكنه كان يبدو كأنه أصبح جزء من الرمال الذي تحول إلىٰ الصخر، أدرك «مالك» لماذا طلب منه «سعيد» إحضار الجاروف، فلا يمكن استخراج هذا التمثال باليدين فقط، ولكن أين سعيد من كل هذا؟ خرج مالك من الحفرة، وبدأ يسير في دوائر لعله يجد أي أثر لصديقه، ولكن حتىٰ آثار الأقدام مختفية تحت آثار أقدام الكلاب المنتشرة في دائرة واسعة جدا حول الحفرة، وعندما قرر مالك أنه قد ابتعد عن دائرة البحث، قرر الرجوع إلىٰ الحفرة والانتظار، ربما يكون سعيد قد رأىٰ الكلاب فخاف أن يبقىٰ في ذلك المكان، فذهب إلىٰ مكان ما حتىٰ تذهب الكلاب ثم يعود، اقتنع «مالك» بالفكرة، وقرر أن يبدأ في استخراج التمثال ليستفيد من الوقت حتىٰ يرجع سعيد، وبالفعل بدأ في الحفر حتىٰ أخرج التمثال، وبعدها تأكد أن الصندوق لا يحتوي علىٰ شيء آخر، فكر أن يقوم بردم الحفرة، ولكنه تراجع مفكرا، أن «سعيد» قد يعود إليها فلا يعرف المكان، لهذا ترك كل شيء كما هو، وأخذ التمثال الذي كان ثقيلا جدا مقارنة بحجمه الصغير، ولكنه رجح ذلك أن هذا الوزن ربما يكون بسبب الرمل المتحجر حوله، فقرر التوجه إلىٰ غرفته ليقوم بتنظيف التمثال، ولكن بالتأكيد بعد أخذ ولو قسط قليل من الراحة ليبدا يوما جديدا في البحث عن «سعيد».



سعيد

بصعوبة بالغة، استيقظ مالك علىٰ أصوات الطرق علىٰ باب غرفته، والتي كانت خافتة لا تصل إلىٰ حد الإزعاج، وفي نفس الوقت ذات إصرار كبير علىٰ إيقاظه، وعندما دارت عيناه في الغرفة أثناء النهوض ولمح التمثال ملقيا علىٰ أرضية الغرفة مبعثرا بعض الرمال من حوله، استيقظت كل حواسه، وشعر بالنشاط يدب في عقله، فقام من السرير وأخفىٰ التمثال أسفله، ووضع منشفة الحمام علىٰ الأرض فوق الرمال المبعثرة وتأكد أن لا شيء ظاهر، ثم فتح الباب.

- «صباح الخير يا فندم، آسف علىٰ الإزعاج، بس سامح بيه عايزك تحت» قال موظف الأمن بالفندق وهو يبدو مرتبكا.
- سامح بيه مين؟
- سامح بيه يا فندم، اللي حضرتك بلغته امبارح عن موضوع صاحبك.
- اه تمام، هغسل وشي بس وأنزل له.
- تمام، أنا مستني حضرتك.
- مستنيني ليه؟ أنا هاغسل وشي وأنزل.
- دي أوامر سامح بيه يا فندم، هستنىٰ حضرتك وأنزل معاك.

كان أول ما فكر فيه مالك أن أمر التمثال قد اكتشف، ولكن إذا تم اكتشاف الأمر، فليس من المنتظر أن يطلبوه للأسفل، بل كانوا سوف يقتحمون الغرفة علىٰ الفور، هل كان موضوع التمثال والحفرة كمين من الشرطة؟ ولكن لماذا؟ ماذا سيستفيدون؟ وماذا إذا أخذ أحد العابرين أو التائهين التمثال؟ لا لا... لا أعتقد أن هذا هو الأمر، ربما يكون شيئا بخصوص «سعيد».

انتهىٰ «مالك» من غسل وجهه، ثم أخرج التمثال من تحت السرير، ولفه بالمنشفة جيدا، ووضعه في حقيبة ملابسه، ثم أزاح الرمال علىٰ الأرضية بحذائه أسفل السرير، وبعثر المتبقي في أركان الغرفة، وتأكد أنه لا علامات ظاهرة تثير الشك، وخرج من الباب وتوجه إلىٰ قاعة الانتظار مع موظف الأمن، فوجد زحاما شديدا، و«سامح بيه» يقف داخل دائرة من الرجال في ملابس شرطية برتب مختلفة، والكثير من الأشخاص بأجهزة اللا سلكي، منتشرين داخل وخارج الفندق وبجانب «سامح بيه»، يقف مدير الفندق ممتقع الوجه، وهو يتحدث مع أحد الضباط من ذوي الرتب الكبيرة بصوت أقرب للهمس، وهو دائم الالتفات حوله، ويقف بعيدا عنه شخص، يبدو أقرب لمساعده من وضعه المتحفز، وعيناه المسلطتين علىٰ وجه ويد مدير الفندق، فيبدو ككلب ينتظر أن يرمي صاحبه الكرة، ليذهب مسرعا لالتقاطها، وبالفعل عندما يرىٰ مدير الفندق أحد النزلاء يقترب من مكان التجمع، يشير إلىٰ مساعده بعينه أو بيده، فيسرع المساعد لأخذ النزيل

بهدوء بعيدا عن التجمع، شعر «مالك» أنه في مشهد تمثيلي، وكل الحضور يؤدون أدوارهم.

عندما لمحه «سامح بيه» ينزل للقاعة، استأذن من معه وتوجه إليه مسرعا، ثم أمسك بمرفقه بهدوء وتوجه معه لأحد المناضد البعيدة عن التجمعات، أمام مدخل الفندق.

- «اقعد يا مالك لحظة». جلس مالك وهو ما زال مذهولا لا يعرف ماذا يقول.
- هو سعيد صاحبك ليه أهل؟
- آه طبعا له أمه في القاهرة، وله أخ مهاجر ألمانيا من فترة. هو ايه اللي حصل؟
- تعرف تتواصل مع حد فيهم؟
- ممكن أكلم هشام صاحبنا، هيعرف يوصل لوالدته. بس هو في ايه حضرتك؟

صمت سامح للحظات وهو ينظر بطرف عينيه بتمعن شديد إلىٰ ملامح وجه «مالك»، ثم أشعل سيجارة ونفث دخانها تجاه التجمع بقوة وعاد إليه ببصره قائلا:

- أنت تعرف سعيد كان جاي هنا ليه أصلا؟
- جاي رحلة عادي .أنتم لقيتوه؟
- «آه لقيناه. هو كلمك تجيله ليه؟ ارتبك «مالك» للحظات، لكنه تمالك نفسه سريعا، وإن كانت نظرات سامح القوية تجاهه تبدي أنه لاحظ الارتباك.

- «كان زهقان، بيقول لي أنه مفيش حاجة تتعمل، فقال لي تعالىٰ اقعد معايا يومين. هو فين دلوقتي؟ أنتم لقيتوه فين؟ وعربية الإسعاف واقفة برة ليه؟ هو حصل له حاجة؟»

طالت النظرة والسكوت تلك المرة، ثم عدل «سامح» من جلسته ليواجهه مالك مباشرة، واستند علىٰ المنضدة وقال:

- سعيد مات يا مالك.

تجمد مالك بعد سماع هذا الخبر، ولأول مرة يشعر بأن الدماء التي تنتشر في خلايا مخه أصبحت فجأة شديدة السخونة لدرجة الغليان حتىٰ أنه - لا إراديا- وضع يديه الاثنتين علىٰ رأسه، وضغط عليها لأسفل بقوة حتىٰ لا تتناثر الدماء المغلية بداخل عقله خارج رأسه، لم يستوعب ماذا حدث ولم يستطع حتىٰ سؤال سامح عما حدث بالتحديد، ولا حظ سامح التساؤلات التي تملأ رأس «مالك»، فرجع بظهره لمسند المقعد، وقال له بلهجة مباشرة، لاحظ «مالك» فيها وسط ذهوله لهجة صارمة لا تتناسب مع الموقف.

- «أنت آخر واحد كنت علىٰ اتصال بيه، عايز أعرف كل التفاصيل وآخر حوار دار بينكم بالظبط كان علىٰ ايه بس الأول... وسكت للحظات «تحب تبلغ والدته ولا نبلغها احنا؟»

- «هو مات إزاي؟» خرج صوته متحشرجا كأن أحباله الصوتية قررت الانغلاق علىٰ أي شيء يخرج من داخله...

- للأسف الموضوع خطير جدا. أخطر مما تتصور، سعيد اتقتل.
- «اتقتل؟». كانت الأمور تلوح في خياله من بعيد والرؤية تبدو أوضح ولكنه كان يطرد الأفكار بعيدا فقد كان ما زال في حالة الإنكار لما يسمعه.
- اتقتل وللأسف وتمثل بجثته.
- كمان؟ ليه؟ هو عمل ايه عشان يحصله كده؟ سعيد كان أطيب واحد قابلته في حياتي، مين قتلوه ومثلوا بجثته؟ يعني إيه؟ أنا مش فاهم حاجة.
- طيب أنا هفهمك، بس عايزك تتمالك أعصابك، أجيبلك ميه؟». ودون انتظار الإجابة أشار إلىٰ موظف الأمن الذي كان يقف خلفهم بمسافة قريبة، ويبدو عليه التوتر الشديد للموقف الذي يواجهه لأول مرة في حياته، حتىٰ أن كل ما كان يدور في ذهنه هو كلمة صديقه إبراهيم قبل سفره للواحات «أنت عيل فقري»، انتبه لإشارة سامح فاقترب منه بسرعة فأشار إليه قبل أن يصل «ازازة ميه». ثم واصل حديثه لمالك:
- «في واحد من أهل الواحة اللي عايشين هنا من زمان، قريتهم تبعد عن الفندق حوالي تسعة كيلو متر، جالنا النهاردة الفجر بيبلغ عن جثة متقطعة، لقىٰ الكلاب بتاعته بتقطع فيها، رحنا للمكان وعملنا معاينة. بس للأسف مكنش فيه أي حاجة

تتعاين، باقي الجثة في وسط الصحراء في المسافة اللي بين الفندق والقرية، و الإسعاف أخذ الجثة للطبيب الشرعي.

- «يعني الكلاب هي اللي مثلت بجثته؟ كانوا بياكلوا فيه؟» قاطعه مالك، وهو يتذكر مشهد الكلب الذي يجر شيئا خلفه.
- استنىٰ لحد ما أخلص وأنا هأقول لك، الكلاب مقطعتش ولا حاجة، اللي حصل في جثته مينفعش الكلاب تعمله، احنا مالقيناش الجثة كاملة، احنا لقينا نص الجثة بس، ودة اللي الكلاب كانت بتقطع فيه، ولما راجعنا فيديوهات المراقبة اللي في الفندق، وطابقنا الملابس اللي باقية وكمان لأن القتيل كان جسمه مميز، وربطت ده ببلاغك عن اختفائه، تأكدنا أنه سعيد قبل حتىٰ ما الطبيب الشرعي يبعتلنا التقرير.

تأكد مالك أن كل شيء مرتبط بالتمثال والصندوق الذي وجدهم سعيد، ولكنه لم يذكر شيء من كل هذا لسامح لأن التمثال بحوزته، وسامح لم يذكر شيء عن الحفرة أو الصندوق، ولكن كيف حدث هذا؟ وهذا ما سأله لسامح:

- «نص جسمه بس إزاي ومش ممكن تكون الكلاب... كلت باقي الجثة؟» وشعر أنه علىٰ وشك إفراغ معدته...
- «الأمر مستبعد، طريقة فصل الجثة كانت بآلة حادة جدا، لأن مكان القطع دقيق للغاية حتىٰ آثار أسنان وأنياب الكلاب واضحة في الأماكن اللي كانوا بيشدوا منها، لكن عملية

الفصل تمت بفعل فاعل، عارف هو بيعمل ايه، واحنا لسه مستنين تقرير الطبيب الشرعي، بس للأسف الموضوع هيطول لأن المسافة بينه وبين المستشفىٰ المركزي بعيدة، أنا هاسيبك شوية تهدىٰ، وهعمل إجراءات إبلاغ أهل القتيل وهرجعلك تاني، طبعا مش محتاج أقول لك أنت مينفعش ترجع مصر دلوقتي خالص، أنت آخر واحد اتكلمت معاه وكل معلومة هتقولها، مهما كانت تافهة بالنسبة لك هتكون مهمة بالنسبة لنا، ممكن تطلع حجرتك أو تفضل داخل إطار الفندق لكن أبعد من كده ممنوع، تمام؟»

- ممكن أطلع أعمل مكالمة؟
- هاتكلم مين؟
- والدي، لازم يعرف.
- مفيش مشكلة، اتفضل تليفوني معاك كلمة.
- بس هنا مفيش شبكة، لازم اطلع برة.
- لا احنا شغلنا مينفعش يبقىٰ مفيش شبكة احنا شغالين قمر صناعي، اتفضل.
- «شكرا». أخذ مالك الهاتف وتحدث إلىٰ والده قليلا ثم عاد إلىٰ الضابط وهو يعطيه الهاتف وقال مرة أخرىٰ:
- «شكرا». قالها شاردا وتوجه لغرفته يحاول استيعاب كل ما حدث في تلك الليلة التي يبدو وكأنها ستقلب حياته رأسا علىٰ عقب.

بعد أن انتهىٰ حديث سامح مع مالك توجه مالك لغرفته. يسير وهو ينظر إلىٰ الأرض الرملية المحفورة يدويا علىٰ شكل مربعات بدلا من البلاط، ليتأكد أن كل قدم تدوس داخل مربع، ليشتت تفكيره قليلا عما حدث له ولصديقه في يومين فقط، وعندما أغلق الباب توجه مباشرة إلىٰ التمثال ليتأكد أنه موجود في مكانه، ثم أخرجه بحرص وبدأ بإزالة الرمال المتحجرة من عليه حتىٰ ظهر الشكل كامل، كان التمثال يمثل ملك فرعوني قوي البنية، يحمل فأس ضخمة، ولكنه يحمل وجه قط، كان التمثال في غاية الجمال والدقة، حتىٰ أن مالك استغرق وقتا طويلا متأملا في الدقة الشديدة في نحت التمثال، حتىٰ أنك تشعر أنه شخص حقيقي، ولكن بحجم أكبر قليلا من حجم كف اليد.

كان عقله في حالة نكران للواقع. فموت سعيد بتلك الطريقة، شيء لا يحدث لكثير من الناس، لهذا فهو لا يعلم كيف من المفترض أن يشعر، موت سعيد لا يشعره بالحزن، بل يشعره بالخيانة، ليست خيانة شخص، ولكن خيانة الظروف، التي حولت سعيد من شخص يفتقد العاطفة، إلىٰ أن يصبح نصف جثة بدون ذنب يذكر، كان مالك يشعر بالحيرة الشديدة مما وصلت إليه الأحداث السريعة المتلاحقة، وفكر أن يذهب إلىٰ سامح ويخبره بكل شيء، ولكنه فكر أنه أخرج التمثال بالفعل ومن المرجح جدا أن يتهمه سامح بقتل سعيد، فالقصة تبدو مترابطة، شخص يستعين بصديقه لإخراج تمثال أثري وعندما اختلفوا قتله وشوه الجثة وأخذ التمثال ليهرب، ولكن وجدت الكلاب الجثة

قبل أن يغادر الفندق والواحة، وعندما انكشفت الجثة لم يجد حلا سوىٰ إبلاغ الشرطة والظهور بمظهر البريء. دارت الأفكار في عقله، وهو يتخيل ما سيفكر فيه سامح إذا ما أبلغه، من الواضح أنه سيكون المشتبه به الأول والوحيد، لهذا لابد من حل آخر، لابد من معرفة كيف قتل سعيد بالفعل، وهل الموضوع له علاقة بالتمثال؟ بالطبع له علاقة. يجب أن يجد القاتل الحقيقي وإلا سوف تشير أصابع الاتهام إليه آجلا أم عاجلا، ولكنه لم يعرف كيف يبدأ، وأين سيخفي هذا التمثال اللعين حتىٰ تنتهي الأمور؟ وعندما توجه إلىٰ شرفة الغرفة، ونظر إلىٰ تلك الاستراحة المجاورة للفندق، شعر بشيء من الارتياح، فقرر الذهاب إلىٰ لشيخ مبروك ليتحدث معه، ربما يجد شيئا يريحه.

****



هدير

دخلت هدير ذلك المقهىٰ الفاخر في أحد شوارع المعادي الهادئة المليئة بالأشجار المحببة إلىٰ النفس لكل من يراها، وقفت علىٰ الباب للحظات تنظر بهدوء بعينها فقط دون أن تحرك رقبتها، كانت تعلم أن أنظار كل من في المكان، سواء كانوا زبائن أو عاملين ينظرون إليها، ولكن بأهداف مختلفة، فالسيدات يلفت نظرهن ذلك الحذاء الفاخر من الماركة الشهيرة، ويبحثون في وجهها عن ألوان المكياج لكي ينتقدوا ذوقها، ولكنهم لم يجدوا شيئا منه في وجهها، فهي كانت لا تضع شيئا في وجهها لأنها تثق بجمالها الطبيعي الساحر، وأما الرجال فمعظمهم كان ينظر إلىٰ أشياء أخرىٰ لا مجال لذكرها في حديثنا هنا، توقف نظرها عند تلك المنضدة، وذلك الشاب الذي يجلس منكمشا في مقعده، يمسك هاتفه ليتظاهر بالانشغال بشيء ما، اقتربت منه هدير مباشرة بخطوات هادئة واثقة، ثم توقفت أمامه مباشرة لتتأكد أنه يتلقىٰ كامل سحرها مباشرة.

- يوسف... صح؟
- «أيوة... هدير؟»، أجابها بصوت متلعثم مرتبك وهو يقف لتحيتها، ثم يجلس مسرعا قبل أن تجلس هي، وهو يشعر بالضآلة بجانب السحر وقوة الشخصية، والحضور المبهر لهدير، والتي ما زالت أنظار النساء في المكان تبحث عن شيء

ما خاطئ فيها، وعندما وصلنّ لمرحلة اليأس تركزت أنظارهنّ علىٰ من يرافقهنّ من رجال يراقبن ردات أفعالهم، كانت هدير تعرف ما سيدور علىٰ معظم المجالس بين الرجال والنساء لمدة عشر دقائق كاملة، فبعض الرجال سيصر أن من تجلس معه أجمل منها بمراحل، وهذا رجل ينتظر شيء ما من شريكة مجلسه، وهناك البعض الذي سوف يصر علىٰ أن هدير هي القمر في طور البدر، ومن تشاركه مجلسه مجرد نخلة يابسة البلح، وهذا رجل لا ينتظر شيئا من شريكته، أو حصل عليه بالفعل، للحظات تأملت هدير بعينها فقط الجالسين في دائرة بصرها لتصنف وتراهن نفسها علىٰ أنواع الرجال والنساء الحضور، ثم التفتت إلىٰ يوسف الذي ما زال مبهورا غير مصدق أنه يجلس مع تلك الفاتنة، لم يكن يوسف قبيحا أو غير حسن المظهر، ولكن عدم ثقته بنفسه وقلة خبراته وقصور علاقاته علىٰ دائرة صغيرة معظمها من العائلة كانت السبب في ذلك.

- «عامل إيه؟» قالت هدير بابتسامة صافية.
- أنا تمام كله كويس، أنتي تمام؟
- آه، أنت متعود تيجي هنا كتير؟
- لا خالص، أنا مش بخرج كتير أصلا، أنا جيت مرة مع أصحابي من فترة بس عجبني الديكور والإضاءة وكمان الأكل حلو جدا.



- فعلا المكان شكله حلو وشيك.

سكت هشام للحظات وهو ينظر بعيدا تجاه المخرج، انتبهت هدير وأدركت بذكائها ما يدور بذهنه.

- طبعا أنت بتسأل نفسك أنا طلبت أقابلك ليه... صح؟
- الصراحة آه، أنا بيجيلي مكالمات كتير زي مكالمتك. بس بمجرد ما أقول مش مهتم، خلاص بينتهي الموضوع، لكن أول مرة حد أقول له مش مهتم، يصر أنه يقابلني، عايز اسألك حاجة... هو أنتي بتقابليني عشان أطلع الرحلة بردة؟
- «آه»... أدهشته إجابتها الصريحة، فكان يتوقع الكثير من الدبلوماسية رغم أنه كان يعرف الإجابة مسبقا، ولكنها استدركت مسرعة عندما لاحظت سرحانه:
- ومش آه في نفس الوقت. أفهمك... بص يا سيدي أنا هكون صريحة معاك، الشركة عندنا بتدينا رحلة مجانية كل تلات شهور كنوع من الحافز وكده، أنا طلعت المرة اللي فاتت، بس ماكنتش مبسوطة خالص، عارف ليه؟ كنت لوحدي تماما، طبعا كان فيه ولاد كتير بيحاولوا يتكلموا معايا طول مدة الرحلة، بس بصراحة محدش فيهم شد انتباهي أو لفت نظري، يمكن عشان أنا لسة مش حاطة موضوع الارتباط ده في دماغي، عشان كده مكنتش مبسوطة طول الرحلة، فقلت المرة دي عايزة أطلع مع حد محترم، ونقضي الرحلة كلها مع

بعض، وعلىٰ فكرة خلي بالك من كلمة محترم، أنا بسبب طبيعة شغلي في المبيعات، لازم أكون منفتحة وأعرف أقرأ الناس كويس، وأعرف كل واحد عايز ايه مني بالظبط، وبرضو عشان أكون صريحة أكتر معاك، أنت مش أول واحد أفكر إني أطلع معاه الرحلة، بس أنا من أول ما شفتك حسيت أنك إنسان محترم وصريح.

ثم ارتشفت رشفة من كوب الماء أمامها، ورجعت إلىٰ الالتفات في أرجاء المكان مرة أخرىٰ، ثم واصلت الحديث قائلة:

- أنا قابلت اتنين قبلك... أول حاجة فكروا فيها أنها هتبقي مليطة، وأنا من الآخر مليش في المواضيع دي، ممكن أكون بدي انطباع ل اللي يشوفني إني كده، عشان يعني لبسي وشعري، والشباب عندنا معظمهم بيمشي بمبدأ أن كل ست أو بنت حلوة ومهتمة بنفسها، تبقىٰ بتدور علىٰ راجل، وطبعا كلهم بيفتكروا أن هم الراجل ده، اللي هيجيب البت سكه، الناس دي أنا شفتها أكتر ما بشوف نفسي في المرايا، فبقيت أعرفهم من بعيد كده، بس يا سيدي... ده سبب إني أقابلك وأطلب منك تطلع الرحلة دي مخصوص عشاني، وعلىٰ فكرة المكان حلو فعلا ومريح للأعصاب، مفيش تليفونات ولا نت، اغلا في أماكن محددة، أنا طبعا بقول لك الكلام ده ليك أنت، لكن في التليفون بقول أن المكان فيه كل حاجة،

أنـت عـارف طبيعـة شـغل المبيعـات، لازم نحلـي أي حاجـة بنبيعها.

- أنا الصراحة أول مرة أقابل شخصية زيك، حتىٰ أنـا اسـتغربت أنتـي إزاي مـش لاقيـة حـد يطلـع معـاكي، إزاي أصـلا مـش مرتبطة؟
- استوقفته هدير بإشارة من يدها وهي تقول:
- أنا مش لاقية حد كويس يطلـع معايـا، خلـي بالـك مـن النقطـة دي، وموضوع الارتباط ده بـردو ليـه أسـبابه، أي بنـت جميلـة وناجحة في شغلها بتجـذب أنـواع معينـة مـن الرجالـة، والنـوع الكويس منهم بيفكر زيك كده، إني أكيد مرتبطة، لكن صدقني كل ما البنت بتبقىٰ جميلة وناجحة في شغلها، كل ما الارتبـاط عندها بيبقىٰ صعب، ببساطة هي بتحط معـايير عاليـة للراجـل اللي عايزاه، وغالبا بتلاقي اللي حواليهـا مفيهمش أي حاجـة من المعايير دي، بالعكس يمكن بتلاقي العكس تماما.
- معاكي حق، احنا دايما لما نشوف بنت حلوة وشكلها نضيـف مـش بنفكـر نكلمهـا أساسـا، عشـان زي مـا أنتـي قلتـي، بـس عموما أنا هطلع معاكي الرحلة.

ابتسـمت هـدير ابتسـامة ثقـة، فقـد حققـت لتوهـا الزيـادة التـي تسـعىٰ إليها.

****

في اليوم التالي، عندما دخلت هدير لمقر الشركة مبتسمة وسعيدة، ومتحمسة لإبلاغ الأستاذ صفاء بأنها قد أنهت الاتفاق كما طلب منها، وصلت إلىٰ مكتب الأستاذ صفاء مندهشة لعدم وجوده في مدخل الشركة، كعادته الصباحية ليراقب مواعيد وصول الموظفين، وأيضا التحدث مع موظفة الاستقبال الجديدة. سألت عليها فعرفت أنه في مكتبه، توجهت فورا للمكتب، ودخلت مسرعة فوجدت الأستاذ صفاء يجلس علىٰ مكتبه مستندا برسغه إلىٰ سطحه، ويشبك كفه تحت ذقنه، كان يبدو شاردا لدرجة كبيرة، تنحنحت ثم قالت:

- صباح الخير
- «صباح الخير هدير، اتأخرتي ليه؟» قالها شاردا دون أن ينظر إليها.
- متأخرة؟! ده أنا أول يوم اجي بدري عن ميعادي.
- «بجد؟»، كان يتكلم ببطء وكأنه في عالم آخر.
- هو حضرتك كويس؟
- هدير أنا عندي أخبار مش كويسة.
- خير؟
- الفندق بتاع الواحة، مش هانبعت له ناس لفترة كده.
- ليه؟ ايه اللي حصل؟ ده أنا جاية لك أقول لك إني جبت آخر واحد زي ما اتفقنا.
- شغل ممتاز، بس الرحلة هتتلغي، بلغي الغادارة المالية تتواصل مع الناس، وتبدأ إجراءات الاسترداد، وفي نفس

الوقت، عايزك تكلمي الناس اللي دافعين الحجز تقنعيهم برحلة دهب وبنفس السعر، أنا عارف أن دهب أغلىٰ، بس ده هيبقىٰ أفضل من الاسترداد، والزيادة اللي وعدتك بيها هتنزل، أنتي عملتي شغلك، وإلغاء الرحلة طبعا ملكيش ذنب فيه.

تنفست هدير الصعداء بعد سماعها خبر الزيادة، فأنزلت حقيبتها علىٰ المنضدة الصغيرة أمام مكتبه وجلست علىٰ الكرسي المواجهة له وقالت:

- ايه اللي حصل للرحلة؟ يعني أقول لهم أسباب الإلغاء إيه؟

ضحك صفاء ضحكة قصيرة، ورجع بظهره إلىٰ الخلف وقال:

- أنتي لو قلتي لهم سبب الإلغاء... احنا بيتنا يتخرب، أنتي هتقولي العادي، أن العدد كمل وطلع في حجز مكرر والشغل العادي.

ثم أخذ نفسا عميقا، وهو يقول في جدية:

- لكن عارفة إيه السبب الحقيقي؟ أقول لك «الواحة حصلت فيها جريمة قتل» والشاب اللي مات، كان طالع من عندنا معرفش مين اللي جايبه منكم لسه، بس بعت أجيب بياناته لأن الشرطة هتبعت واحد من عندهم يستفسر عنه.
- اسمه إيه؟

- محمد سعيد، عارفة مين اللي جايبه؟

وضعت يدها علىٰ رأسها، وعلت وجهها علامة الاندهاش والفزع وهي تجيب:

- أيوة عارفة، ده أنا اللي جايباه.

ثم صمتت قليلا في ارتباك، وهي تسأل بحذر:

- طب الشرطة جاية تسأل عليه هنا ليه؟ احنا مالنا؟

- بيقولوا الجريمة غريبة وعايزين يعرفوا كل المعلومات عنه من قبل ما يسافر لحد ما مات.

- «غريبة إزاي؟». سألت «هدير» مرة أخرىٰ في توجس، فأجاب «صفاء» في نفاذ صبر:

- معرفش يا هدير، أهو لما يبعتوا حد هنعرف، أكيد تحريات عادية.

- ثم صمت قليلا، وعاد ينظر إليها وهو يسأل:

- أنتي مهتمة ليه كده بالموضوع، ده إجراء روتيني الشرطة بتعمله... أنتي كنتي تعرفيه قبل ما يسافر؟

فقامت هدير منزعجة، وأخذت حقيبتها وهي تقول:

- لا طبعا، أعرفه منين... أنا بس مستغربة الموضوع.



عـاد «صـفاء» إلـىٰ شـروده وهـو يكلفهـا بمواصـلة عملهـا، وخرجـت «هدير» إلىٰ مكتبها، والرعب يملأها، إذا ما كان أحد يعرف بلقائها مع سعيد، فـدخلت إلىٰ مكتبهـا لـتقص علىٰ زميلتهـا «سـالي» مـا حـدث، وهي تطلب منها، ألا تتحدث مع أحد بخصوص مقالتها مع الزبائن.

****



سامح

عندما وصل تقرير الطبيب الشرعي لسامح، كان يحمل الكثير من المفاجآت، فقد تبين له أن جثة سعيد كانت خالية من أي مواد كيميائية غريبة أو أي نوع من أنواع التخدير - على الأقل في النصف السفلي الذي وجد - أي أن الجسم تم فصله وسعيد مستيقظ أو على الأقل كان عقله واعي لما يحدث، وأن القطع تم بآلة دقيقة للغاية مجهولة هويتها حتى الآن، وإن ظهرت آثار حروق على الجزء الباقي من الجثة، في مكان القطع، وما زال البحث عن الأداة المستخدمة جاري، ولكن قد يستغرقون الكثير من الوقت بسبب آثار أسنان وأنياب الكلاب.

توقف سامح عن القراءة، ثم نفض رأسه يسارا ويمينا بعد أن تخيل الألم الناتج عن عملية فصل جسم سعيد، وإن تأكد أنه لن يستطيع أبدا إدراك هذا الشعور.

عندما انتقل سامح لهذه الواحة، أجرى بعض الأبحاث والتقارير عن المنطقة قبل أن يذهب إليها متطوعا، في حين كان جميع زملاءه يبتعدون عنها...

فبعد انفصاله عن زوجته، قرر أنه يحتاج أن يذهب بعيدا لأقصى الدرجات، كان يشعر بالألم بسبب حادثة الانفصال، ولم يستطع حتى

الآن إبعاد آخر كلمات زوجته له: «انت مبقتش تحبني، وقبل ماتقول حاجة، أنا كمان مبقتش أحبك، احنا الاتنين اتغيرنا وده شيء طبيعي، لكن احنا بقينا أربعة بدل اتنين، اتنين حبوا بعض واتنين عايشين مع بعض، أنت مبقتش بتضحكني، وأنا مبقتش المثيرة الغامضة اللي كنت بتحبها، أنا فكرت كتير في الموضوع، ولو سمحت ننفصل»

كان يعرف أن كلامها صحيح، حتىٰ أنها فاجأته إلىٰ حد كبير بصراحتها غير المعتادة، بعد أن أخذ وقت قليل في التفكير، قرر أن طلبها الانفصال وحده يكفي، فهو يعلم أنها تقال لأول مرة، ولكنه كان يعرف زوجته أيضا، لهذا قرر الانفصال وسارت الأمور سلسة لعدم وجود أطفال.

- «سامح بيه»، انتشله النداء من أفكاره.
- إيه؟
- الأستاذ مالك عايز يطلع برة الفندق يا فندم.
- هايروح فين؟
- بيقول هيروح عند الشيخ مبروك في الاستراحة اللي جنبنا.
- ماشي خليه يروح بس خليك قريب منه، وميطلعش معاه البطاقة ولا أي شنطة.
- تمام يا فندم.

****



مالك

وصل مالك إلىٰ استراحة الشيخ مبروك، ووجد الشيخ مبروك يستند علىٰ فرع الشجرة اليابس وينظر إليه بتمعن شديد، وهو يبادره بالسؤال:

- القتيل يبقىٰ صاحبك؟
- «أيوة» أجاب مالك مطرقا رأسه لأسفل.
- عرفوا ايه اللي حصل له؟
- لا لسه، بس الموضوع شكله مش مجرد جريمة قتل والقصة غريبة، دول لقو جسمه متقطع نصين ومش لاقين غير النص اللي تحت بس، أنا مش عارف مين عمل كده فيه؟ وليه أصلا يعمل كده؟ سعيد كان إنسان طيب جدا ومسالم، ليه توصل بيهم البشاعة للدرجة دي؟

فنظر الشيخ مبروك إلىٰ الصحراء، نظرة شاردة، ثم قال بغضب مكبوت:

- يا ابني اللي قتل صاحبك مكنش يعرفه أساسا.

نظر إليه مالك باندهاش، وتوغل الشك بداخله قبل أن يتابع مبروك:



- «صاحبك اتقتل عشان كان في المكان والوقت الغلط، لكن اللي قتله ميعرفوش أصلا»
- وأنت عرفت منين الكلام ده؟

صمت مبروك ونظر بعيدا تجاه الصحراء للحظات قبل أن يقول: «عشان دي مش أول مرة تحصل»

****



سامح

- «ده كل اللي حصل لغاية دلوقتي يا فندم وأنا هبعت تقرير مكتوب أول ما أرجع المكتب». قال سامح محدثا مديره في الهاتف.
- تمام يا سامح، بس أنت ليه شاكك في صاحبه؟ التحريات بتقول أنه ماشي مظبوط هو وعيلته، مفيش عندهم أي سوابق جنائية، القضايا اللي لقيناها عليهم، قضايا تهرب ضريبي ومخالفات بناء، وسرقة كهرباء، القضايا العادية لأي تاجر وصاحب مصنع كبير زي أبوه.
- صاحبه هو آخر واحد أتواصل معاه وبيقول أن القتيل - صاحبه - كان زهقان فكلمه يجيله... فجاله، دي مش داخلة دماغي، محدش يسافر أربعة عشر ساعة عشان يسلي صاحبه، والناس هنا ابتدت تتكلم عن لعنة فراعنة، والغريب أن الناس مش راضيه تمشي من الفندق، دول بيتكلموا مع أصحابهم ييجوا.
- كلام لعنة الفراعنة بيطلع إشاعات، ومن مدير الفندق نفسه، أنا عارفه من زمان، لما كان موظف استقبال وأنا كنت في رتبتك، دماغه سم، لو لقىٰ الموضوع فيه مصلحة ممكن هو اللي يروج لإشاعة زي دي .

- بس أنا متأكد أن قضية القتل دي وراها حكاية كبيرة يا فندم.
- قول لي بتفكر في ايه.
- قبل ما اجي هنا عملت تحرياتي، وجمعت معلومات عن الواحة عموما، وعن الجرائم اللي حصلت فيها من آخر سنتين، معظم القضايا مفيهاش حاجة غريبة، ما عدا قضية واحدة لسة مفتوحة من سنتين.
- اختفاء البنت.
- مظبوط يا فندم، بنت اختفت في ظروف غامضة بدون أي خيط علىٰ اللي حصلها.
- كانت في نفس الفندق؟
- لا فندق يبعد عنه ٧ كيلو شمال غرب الواحة.
- أنا فاكر القضية حصلت قبل ما أمسك المنطقة بحوالي شهرين تلاتة، بس دي ايه علاقتها؟ دي اختفاء أو خطف، ودي قتل وتمثيل بالجثة؟
- العلاقة أن سعيد كان مختفي لمدة يومين قبل ما نلاقي جثته.
- لكن لو الجريمتين بينهم سنتين وأنت شايف أنهم مرتبطتين بطريقة ما، يبقىٰ ده ينفي الشك عن صاحبه. ويطلعه بره دائرة الاتهام نهائي.
- مظبوط يا فندم، بس أنا لازم احط كل الاحتمالات قدامي، لأن كل الملابسات تخلي مالك هو المشتبه الأول، لأنه آخر واحد كلمه، وأكيد كان عارف مكانه، ولما جبنا سجل



المكالمات من تليفون سعيد.. لقينا آخر مكالمات صادرة، كانت لاتنين، مالك وبنت تانية، لسة التحريات عنها مجاتليش.

- ومفيش سبب واضح للجريمة طبعا، لحد دلوقتي كلها احتمالات.
- تمام سيادتك.

❋❋❋❋



مبروك

- «يعني ايه مش أول مرة تحصل؟»، سأل مالك مندهشا.
- -في حادثة زي دي قبل كده بالظبط حصلت هنا في الواحة من كام سنة فاتوا.
- وعرفوا مين اللي بيعمل كده؟
- -«لا محدش عارف لحد دلوقتي»... قال مبروك شاردا بصوت منخفض.
- يبقىٰ لازم سامح يعرف كده، لإني ابتديت أحس أنه بيشك فيا، مع إني أنا اللي مبلغ.
- الضباط بيشكوا في كل الناس يا بني، دي شغلتهم وأصبحت في طبيعتهم.
- أنا لازم أعرفه الموضوع ده، بس عندي طلب يا شيخ.
- -اطلبه يا بني
- معايا أمانة عايز أسيبها معاك لحد ما أنزل القاهرة وأرجع اخذها.
- وأخرج اللفافة من جيبه.

نظر مبروك إليه بشك ونظر إلىٰ عينيه، واقترب من وجهه وسأله في لهجة جادة:

- أنت ماقتلتش صاحبك، صح؟
- اقسم بالله يا شيخ ما قتلته ولا أعرف اللي حصل له، هو طلبني أجيله، ومن ساعة لما جيت مشفتوش غير وهو الله يرحمه.
- «الأمانة محفوظة لصاحبها». قالها وهو يعاود النظر إلىٰ الصحراء دون أن يفهم مالك ما إذا كانت تلك العبارة تعني الموافقة أو الرفض، ولكنه مد يده باللفافة، فأخذها مبروك دون أن ينظر باتجاهه، ووضعها بجانبه بإهمال.

تركه مالك شاردا وهو يعود إلىٰ الفندق، واتجه مباشرة باتجاه مكتب الأمن الذي يجاور الفندق حيث يمارس سامح تحقيقه منه، وطلب الدخول، وعندما دخل لمكتب سامح، لاحظ الأخير أن تعبيرات وجه مالك تدل علىٰ الارتياح، فبادره سامح قائلا:

- إيه رأيك في الشيخ مبروك؟
- أنا جايلك في حاجة مهمة قالها لي الشيخ مبروك.
- خير؟
- سعيد مش أول قتيل في الواحة دي في جريمة تانية زيها حصلت من أكتر من سنة.
- هو فعلا في جريمة حصلت، بس مش زيها ولا حاجة، دي جريمة اختفاء مش قتل وكانت بنت وفي فندق جنب ده.

- بس هو بيأكد لي أن الجريمة زيها بالظبط، وحضرتك ممكن تسأله بنفسك.
- احنا بناخد معلوماتنا بطريقتنا، بس أنت مقولتش بردو... إيه رأيك فيه؟
- أنا طبعا معرفهوش كويس، أنا بقالي يومين بس هنا قابلته مرتين أو تلاتة، بس رأيي أنه راجل طيب راقي، رغم عيشته طول عمره في الصحراء.
- يعني متشكش فيه؟
- الشيخ مبروك؟! لا طبعا، يعمل حاجة زي كده ليه أصلا؟
- تعرف أن الشيخ مبروك بيختفي كل يوم ساعتين، بيدخل الصحراء يقعد ساعتين أو أكتر ويرجع تاني الاستراحة، محدش يعرف هو بيروح فين.
- وايه المشكلة راجل عايش لوحده وبيحب يمشي بليل.
- لحد هنا مفيش مشكلة، المشكلة أنه ما دخلش الصحراء من يوم ما سعيد اتقتل.

****



دكتور عمران

انقلبت الدنيا فجأة في أقل من خمس دقائق، وذلك قبل وصول سيارة الدكتور عمران صاحب مستشفىٰ العمران بالسادس من أكتوبر، وهي أكبر مستشفىٰ داخل مصر متخصصة في الجراحات المعقدة وخصوصا جراحات القلب والكبد، فتح الباب الرئيسي للمستشفىٰ بسرعة عن طريق اثنين من موظفي الأمن، بعد أن تأكدا أن ملابسهما منضبطة تماما، وأن الكاب علىٰ رأسيهما في الوضع الصحيح، فدخلت السيارة مسرعة وهما يؤديان التحية للقادم، قبل أن تتوقف أمام مدخل الإدارة الرئيسي اللامع المصقول الأرضيات، وكان في انتظاره رجلان، أحدهما يرتدي بدلة كاملة بدون رابطة عنق وحذاء أسود لامع، طويل القامة، منتصب الظهر، حليق الوجه والرأس بالكامل وإن بدا الشارب الغث مناقضا لباقي وجهه، حواجب سميكة، عيون ضيقة غائرة، واضعا يديه متشابكتين خلف ظهره في منظر يوحي بالثقة التامة بالنفس، أما الآخر فكان يرتدي بالطو الأطباء الأبيض، وتبرز من جيبه مجموعة أقلام مختلفة الألوان، وكان يبدو أصغر سنا من الآخر بالرغم من العوينات والصلع الخفيف في مقدمة رأسه والحذاء المريح الذي يدل علىٰ كثرة الحركة، ممسكا في يده مجموعة أوراق داخل ملف، كان قد انتهىٰ من ترتيبها للتو قبل وصول الدكتور عمران.

ترجل «الدكتور عمران» من السيارة مسرعا، وهو ينظر بلهفة بدت واضحة إلىٰ الوجه الأصلع اللماع وهو يقول «ايه الأخبار يا بهاء؟»، نظر إليه «بهاء» نظرة تحذيرية، وهو يشير بطرف عينه إلىٰ حيث يقف الرجل الذي يرتدي المعطف. فاستدرك الدكتور شتاته، وجمعها ورسم علىٰ وجهه تلك الملامح الصارمة المعتاد عليها مع الجميع إلا مع اللواء «بهاء الديك»، ونظر إلىٰ الدكتور نظرة صارمة وقال: «خير يا دكتور عادل؟»

- تقارير عمليات النهاردة، والحالات الحرجة اللي جت بليل يا دكتور.
- طيب، اسبقني ع المكتب وأنا هحصلك مع سيادة اللوا.

انطلق الدكتور عادل مسرعا، وترك الدكتور عمران يجاور اللواء بهاء وهم يتجهون إلىٰ داخل المستشفىٰ

- ايه الأخبار؟ طمني.
- تمام.
- يعني كل حاجة خلصت؟
- كل حاجة تمام.

نظر إليه الدكتور عمران بنظرة جانبية، فهو يعرف أن عدد الكلمات التي تخرج من اللواء بهاء أقصر من عدد العمليات الجراحية التي يقوم بها بنفسه، كان يحاول استخراج الكلمات منه بأي شكل.

- هو فين دلوقتي؟
- ثلاجة العيادة.
- لازم اشتغل عليه النهاردة، رتبت العمليات؟
- ميعاد العملية ١٢ بليل.
- والفلوس؟
- «بص في تليفونك». توقف الدكتور عمران عن السير، فتوقف بالتالي اللواء بهاء وهو ينظر إليه باستخفاف غير ملحوظ، وهو يخرج هاتفه المحمول من جيب الحقيبة الصغيرة التي يحملها، وينظر إلىٰ الرسالة القادمة من البنك بتحويل مبلغ يتكون من ٦ أصفار إلىٰ حسابه صباح اليوم، ارتسمت بسمة كبيرة علىٰ وجهه، لم يحاول إخفاءها وهو يقول للواء:
- «إنما أنت عرفت منين أن البنك بعتلي رسالة التحويل، أنت بتجسس عليا أنا كمان؟» وأطلق ضحكة قصيرة وهو يشير إليه بمواصلة السير.
- أنا طبعا بتتجسس عليك، لكن ده لأمانك الشخصي زي ما اتفقنا، لكن أنا عرفت أن الرسالة وصلت، لأن البنك بعتلي التحويل بتاعي بردو.
- «والجزار؟» قال الدكتور عمران هامسا، فتوقف اللواء هذه المرة وشبك يديه أمام صدره ونظر حوله ليتأكد أن لا أحد قريب منهم وهو يقول:
- ماله؟



لم يدر الدكتور عمران فعلا عما يسأل. فكر للحظات ثم أشاح بيده وكأنه لا يهتم، وهو يواصل السير ثم قال: «مش مهم خلاص. أنت رايح العيادة امتى؟»

- «دلوقتي». وتوقف اللواء عن السير مرة أخرى، كأنه فرغ من الحديث.
- «طيب اتفضل أنت وأنا عندي هنا ساعتين وأقابلك هناك»، وأشار بيده تلك الإشارة التي تعني «أنا لا أهتم» وترك اللواء وواصل السير متطلعا إلى هاتفه مرة أخرى ليتأكد من الرقم المرسل إليه من البنك.

****



هاني

عاد مالك إلىٰ الفندق، وعندما تخطىٰ باب الدخول شعر بأن جميع الانظار تتجه إليه، بداية من عامل النظافة الهزيل، وحتىٰ مدير الفندق الذي كان يلوم مساعده علىٰ شيء ما خاطئ فعله أو سيفعله حتما، تجاهل الجميع ونظر إلىٰ الأرض وهو يتأكد علىٰ أن تخطو قدمه داخل المربعات المرسومة علىٰ الأرضية...

- -«أستاذ مالك». هتف مدير الفندق بلهجة ودودة وهو يقترب منه بخطوات سريعة.
- نعم!
- في واحد عايز يقابلك.
- مين؟
- «صحفي محترم جدا وصديق شخصي ليا، لسة واصل من القاهرة، وعايز يدردش معك شوية» وأشار برأسه إلىٰ منضدة يجلس عليها رجل في الأربعينات من عمره، يترقب ما سوف تسفر عنه المحادثة.
- «أستاذ هاني، أنت بقالك قد إيه هنا؟» قال مالك وكأنه لم يسمعه.
- «في الفندق هنا سنتين، لكن في الواحة من ست سنين، مسكت أكتر من فندق لحد ما وصلت هنا». قال هاني بفخر.

- يعني أنت عارف أن دي مش أول جريمة تحصل هنا؟
- «أيوة عارف في حادثتين حصلوا هنا في الواحة قبل كده». وأطرق رأسه للأرض في تعاطف مصطنع. ولكن مالك انتبه فجأة وسأله:
- «حادثتين؟» ارتبك هاني من السؤال، فكان يعتقد أن مالك قد عرف بالفعل من سؤاله.
- أيوة. قضية قتل وقضية اختفاء. مش أنت عرفت؟
- أنا عرفت من الظابط بقضية واحدة بتاع الاختفاء، لكن ايه موضوع القتل؟

ارتبك «هاني» للحظات غير متأكد مما سيقوله.

- في حادثة حصلت هنا من سنتين، اختفاء بنت من فندق جنبنا، وقبلها بسنة حصلت حادثة زي حادثة صاحبك بالظبط، لقوا نص جثة، بس الشرطة موصلتش لحاجة والموضوع اتقفل عشان المنطقة سياحية، وأنت فاهم بقي.
- آه أنا كده فهمت، المعلومات اللي عند سامح مش كاملة، أنا لازم أرجع له.
- طب والصحفي؟

لم يرد مالك، بل اتجه مباشرة للخارج وهو يفكر بأن الشيخ مبروك كان محقا بخصوص الجريمة التي ذكرها، ثم توقف فجأة وكأنه نسي شيئا، فعاد إلى هاني ليسأله:

- هـو أنـا ليـه حاسـس أنـك مبسـوط مـن اللـي بيحصـل؟ مـع أن المفـروض العكـس، الفنـدق اللـي أنـت مـديره حصـلت فيـه جريمة قتـل غامضـة وغريبـة، وكمـان مـش أول مـرة تحصـل، ممكن تفهمني أنت ليه مبسوط؟
- قصدك ايه -مستر مالك-؟ أنا مش مبسـوط طبعـا دي جريمـة صعبة، وأكيد في حد ها يلاقي حل للعنة اللي بتحصل دي، أنا كلمـت الأونـر وحكيـت لـه اللـي حصـل، وهـو وعـدني أنـه هيتصرف.
- هيتصرف في إيه؟ هو أنـت فـاكر فعـلا، أن الجـرايم دي سـببها لعنة؟
- اللعنة منتشرة من زمان هنا في الواحة، وبعدين الجن والسحر، مذكورين في القـرآن، ليـه ميكـونش اللـي بيحصـل ده حقيقـي، وبعـدين اللعنـة بتوصـف الجـرائم زي مـا بيحصـل بـالظبط، بيقطعوا الجسم نصين، وبعدين أنـا سـمعت مـن العسـاكر، أن الشرطة لحد دلوقتي مش عارفـة توصـل إزاي الجسـم اتقطـع بالدقة دي.
- مكتوبة فين اللعنة دي؟
- «أنا مش عارف الصراحة بس أنا بسمع عنهـا مـن زمـان، ولمـا حصلت الجريمة الأولىٰ، بقىٰ كل النـاس بتـتكلم عليهـا». ثـم انخفض صوته وتحول إلىٰ نبرة لزجة متوسلة وهو يقول:



- ما تيجي حضرتك تقعد مع الراجل ده شوية، ده جاي من السفر مخصوص عشانك.
- أنا مش هتكلم مع حد في أي حاجة، ببساطة لإني مش فاهم حاجة.
- هو عايز يتكلم معاك في علاقتك بصاحبك، مش هياخد من وقتك أكتر من ١٠ دقائق.

نظر إليه مالك نظرة استحقار، ثم تركه وغادر متوجها مرة أخرىٰ لمكتب سامح.

****



سامح

ذهب مالك إلىٰ سامح وحكىٰ له ما حدث، فاستمع سامح إليه بتركيز حتىٰ أنهىٰ مالك حديثه، ثم طلب منه الانتظار في الخارج لإجراء بعض المكالمات، وبعد مرور عدة دقائق، استدعاه سامح مرة أخرىٰ.

- كلامك طلع مظبوط يا مالك، فعلا في حادثة حصلت من تلات سنين ونفس ظروف الجريمة، الخبر الكويس في الموضوع إنك طلعت برة دائرة الاشتباه، ولو عاوز ترجع القاهرة... ممكن ترجع.
- أنا مش فارق معايا أرجع أو لا، أنا عايز أعرف إيه اللي حصل لسعيد، حرام اللي حصل له ده، ملوش ذنب في أي حاجة.
- مين قال لك أنه مالوش ذنب؟ مش يمكن كان متورط في حاجة وأنت متعرفش؟

تذكر مالك التمثال فشرد للحظات قليلة قبل أن يستدرك:

- اللي أنا متأكد منه أن سعيد قبل ما يطلع الرحلة دي، مكنش فيه ذرة شك عندي أنه بيعمل حاجة غلط أو متورط في حاجة، لكن أنا أعتقد أن أيا كان اللي حصل له، حصل له بعد ما وصل هنا الواحة.

وهم مالك بالوقوف للذهاب وهو يفكر ثم التفت إلىٰ سامح وهو يرفع يده اليمنىٰ ويشير بإصبعه السبابة لأعلىٰ – وكأنه تذكر شيئا فجأة:

- «هو أنتم كلمتم البنت اللي جابته الرحلة؟» سأل مالك بحرص، ورغب أن تبدو لا مبالاة في صوته، ولكن سامح أجاب ببساطة:
- «آه بعتنا حد يسأل الشركة اللي طلعت الرحلة، بس دي شركة سياحة داخلية عادية، بيطلعوا ناس كتير للمناطق السياحية في مصر ومتعاقدين علىٰ عشر غرف في الفندق ده، ناس شغالة مع الفندق ده من سنين وملهاش علاقة خالص باللي حصل»، فكر مالك في داخله أن فتاة شركة السياحة لم تذكر شيئا بخصوص مقابلتها مع سعيد، ربما تكون خائفة، أو متورطة في شيء ما، لهذا قرر عدم إبلاغ سامح بالمقابلة، وأن يذهب إليها بنفسه ليقرر ما إذا كانت متورطة أم لا.
- طيب أنا هارجع القاهرة، وأتمنىٰ لو وصلت لحاجة تطمني.
- «*بإذن الله*». انتظر سامح لدقائق قليلة بعد أن غادر مالك مكتبه وهو مستغرق في تفكير عميق شابك اصابعه أسفل ذقنه مقتضب الجبين، ثم ضغط زر الاستدعاء علىٰ مكتبه، فدخل عسكري المكتب ووقف أمام المكتب منتظرا الامر القادم، استمر سامح في شروده لدقيقة أخرىٰ متجاهلا العسكري، ثم رفع عينيه ببطء باتجاه العسكري وقال لة: «*هات لي الأمين عواد بسرعة، وخلي البوفيه يعمل لي قهوة*». نظر العسكري

إلىٰ عـدد الفنـاجين الموضـوعة علـىٰ المكتـب بنظـرة قلقـة سرعان ما تلاشت، وهو يؤدي التحية العسكرية مغادرا بعد أن هتف بحماس «أوامر يا فندم». وبعد دقائق قليلة طرق الأمين عـواد بـاب المكتـب ودخـل بعـد أن سـمع *«ادخـل يا عـواد»*، دخـل عـواد للمكتـب وأدىٰ التحيـة العسـكرية بـدون حماس، «اقعد»، جلس عواد مستقيم الظهر واضعا يديه بين فخذيه منتظرا، «بص يا عـواد أنـا عـايزك تجيبلـي بيانـات كـل الناس اللي دخلوا الواحة هنا مـن ٣ شـهور فـاتو... ». قاطعه عواد في عدم فهم:

- «الزوار تقصد يا فندم؟».
- «لا يا عواد، أنا عايز كل واحد... الكماين اللي علىٰ الطريق من أول القـاهرة لحـد هنـا اشـتبهوا فيـه وكشـفوا عليـه، ومش عايز آخر تـلات شـهور بس، أنـا عـايز آخـر تلاتـة وآخـر سـتة وآخر سنة، كـل فـترة في ليسـتة منفصـلة، ولـو حـد طلـع عليـه أحكـام تخليـه في أول القائمـة وتجيبلـي كمـان الملـف بتاعـه. مفهوم؟»
- «مفهـوم يـا فنـدم. أي أوامـر ثانيـة؟» قـال عـواد وهـو يهـم بالوقوف.
- قدامك قد ايه؟
- ٢٤ ساعة إن شاء الله يا فندم.
- قدامك ساعتين يا عواد.

- «ساعتين يا فندم؟» هتف عواد مستنكرا. فنظر سامح إلىٰ ساعته وقال بصرامة «بقوا ساعتين إلا خمس دقايق يا عواد، أنا طلبت منك الطلب ده، عشان أنا عارف أنك خدمت في الكماين دي كلها وليك علاقاتك بكل زمايلك في الكماين، يعني هتعرف توصل لهم بسرعة، وبعدين أنت مش كنت عايز تنزل إجازة؟
- «آه والله يا فندم ده أنا بقالي أربعين يوم منزلتش». هتف عواد بلهفة.
- طيب، خلص لي الموضوع ده وهاديك خمس أيام.
- «تمام يا فندم». هتف عواد في حماس والابتسامة تعلو وجهه وهو يستأذن في الانصراف.

****



محمد الزناري

عندما أوقف مالك سيارته في المكان المخصص لها أسفل العمارة الفاخرة في تلك المنطقة الراقية التي يسكن بها، رأىٰ سيارة والده (الحاج محمد الزناري) مركونة في المكان المخصص لها، فأطلق مالك زفرة طويلة تجمع بين القلق والأمان في نفس الوقت، فمن الواضح أن والده يدرك خطورة ما حدث، فقد كانت له مصادره التي لم يعلمها أبدا لمراقبته، وإن لم يمانع في ذلك أبدا، فهو يعلم أن والده يثق به، ولكنه قلق أب طبيعي علىٰ ابنه، صعد مالك إلىٰ شقته، ولاقاه والده بابتسامة هادئة وبعد أن تعانقا قال له والده: «تعالىٰ الماتش هيبتدي».

- مين النهاردة؟
- مين النهاردة! لا كده أنا هقلق عليك بجد، الأرسنال هيلعب وأنت متعرفش، ده أنت بتستنىٰ ماتشاتهم من الأسبوع للأسبوع.
- كله كوم والأسبوع اللي فات ده كوم يا حاج والله.
- «أنس». صاح والده، فحضر أنس في نفس اللحظة، وهو يحمل أطباقا من الطعام تحمل أصنافا مختلفة وضعهم أمامهما، ثم نظر نظرة سريعة إلىٰ المنضدة ليتأكد أنه لم ينس شيئا، وسأل أن كانوا يحتاجون شيء آخر أم لا، وغادر إلىٰ

المطبخ ليسمع الحوار القادم، كان أنس هو من أبلغ والده بحوار مالك مع سعيد وسفره المفاجئ، ولم يهتم في البداية والد مالك، فقد كان اعتاد سفريات مالك المفاجئة، ولكن عندما أبلغه صديقه، مدير أمن الغربية أن هناك تحريات تمت عليه، وأن تلك التحريات لها علاقة بمالك، طلب منه والد مالك معرفة حقيقة ما يدور هناك بالتفصيل، ومنه عرف بقتل سعيد بتلك الطريقة البشعة التي لم يذكرها «مالك» له في الهاتف، ولكن والد مالك لم يتخذ أي إجراء لحماية ولده، لأنه يعلم، أن مالك إذا شعر بخطر حقيقي كان سوف يتكلم معه فورا ليطلب المساعدة، وعندما أبلغه مدير الأمن أن مالك خرج من دائرة الاتهامات، وأنه سيغادر إلىٰ القاهرة، ذهب لانتظاره في المنزل لمعرفة تفاصيل ما حدث بالفعل ومدىٰ تورط مالك في تلك الجريمة، وازداد قلقه عندما رأىٰ تلك النظرة المنكسرة علىٰ وجه مالك وقت استقباله.

— الأكل ده بتاع الحاجة، نضف بطنك شوية من أكل أنس.

تذكر مالك أنه لم يأكل لأكثر من يوم كامل، ولكنه لم يكن يشعر بالجوع، بل تناول بعض القطع الصغيرة إرضاءً لوالده الذي تظاهر بمتابعة المباراة، وهو يراقب مالك بطرف عينيه، وعندما انتهىٰ من الطعام، استدعىٰ أنس لتنظيف المائدة وعمل القهوة، وطلب منه إحضارها للبلكونة، وهم بالقيام مستندا علىٰ كتف مالك وهو يطلب منه الذهاب معه إلىٰ البلكونة.

وضع أنس فنجاني القهوة وانصرف بهدوء، فتناول الوالد الفنجان، وارتشف منه ثلاث رشفات كبيرة متتالية حتىٰ أنهاه، ووضع الفنجان علىٰ المنضدة وهو ينظر بثبات إلىٰ مالك ثم سأله:

- أنا عارف أنك عمرك ما كذبت عليا في حاجة، لأني ربيتك علىٰ أن الكذب صفة الجبان، وأنت عمرك ما كنت جبان، أنا بس عايز أعرف... أنت في خطر من أي نوع؟
- بصراحة مش عارف يا حاج ... أنا في موقف عمري ما تخيلته، سعيد مات أو اتقتل بمعنىٰ أصح بطريقة غريبة وبشعة، وأنا الوحيد اللي وثق فيه، وكلمني عشان أروح أساعده، بس ملحقتش أعمل حاجة، ملحقتش حتىٰ أشوفه.
- والله يا بني أنا شوفت كتير في حياتي، حتىٰ القتل شوفته بيحصل قدامىٰ وبمنتهىٰ القسوة كمان، لكن مين يقتل واحد بالطريقة البشعة دي ؟ وليه؟
- مين؟ قصدك ايه اللي يقتل واحد بالشكل ده؟
- تقصد يعني أن اللي قتله مش إنسان؟ حيوان مثلا؟
- لا يا حاج... اللي قتل سعيد ولا إنسان ولا حيوان.

تراجع الوالد إلىٰ الخلف ببطء وهو ينظر إلىٰ مالك مندهشا دون أن يتحدث، فأطلق مالك زفرة طويلة تحمل الكثير من توتره ومال بجسده للأمام وهو يهمس:

- أنا مكنتش عايز أقول لك عشان متقلقش، لكن في حاجات كتير حصلت هناك محدش يعرفها... الطريقة اللي اتقتل بها سعيد غريبة، سعيد جسمه اتقسم نصين بقطع دقيق جدا والنصف العلوي لجسمه بالكامل مختفي، اللي لقوها هناك دي نص جثة.
- يا ساتر يا رب. لا حول ولا قوة إلا بالله... لكن إزاي بتقول إنه مش إنسان؟ كده اللي عمل كده أكيد إنسان بغض النظر عن دوافعه للطريقة البشعة واختفاء نص الجثة.
- عشان كان في تمثال فرعوني مع سعيد قبل ما يموت.
- لا فهمني. تمثال إيه؟ آثار يعني؟ وأنت عرفت منين أنه معاه؟ ولا كنت عارف قبل ما تروح أصلا؟
- هشرح لك كل حاجة بالظبط يا حاج.

وبعد أن انتهىٰ مالك من قص كل ما حدث بداية من المكالمة وحتىٰ رجوعه إلىٰ القاهرة، تراجع الحاج في مقعده وهو ينظر بثبات إلىٰ فنجان القهوة الثاني والذي ما زال ممسكا به بعد أن أنهاه من أكثر من ١٠ دقائق، وطال صمته وشروده لدقائق أخرىٰ، لم يرد مالك أن يقاطع أفكاره فلزم الصمت بدوره حتىٰ سأله الحاج:

- الشيخ مبروك ده شكله ايه؟
- راجل كبير دقنه بيضا وشعره أبيض وطويل شوية...
- مش بقولك أوصفه لي... بسألك علىٰ انطباعك عنه.

- أنا وثقت فيه من أول خمس كلمات اتكلمت معاه، وده اللي خلاني أسيب له التمثال من غير ما أعرفه.
- الراجل ده هو اللي معاه مفتاح اللي بيحصل هناك، وفي حاجتين لازم نعملهم.
- إيه؟
- أول حاجة لازم نجيب التمثال منه، لأن ده الحاجة الوحيدة اللي ممكن تضرك، علىٰ الأقل بصماتك عليه.
- بس أنا لو رجعت دلوقتي ممكن يشكوا فيا تاني، ده لو أنا مش متراقب أصلا.
- صح، عشان كده مش أنت اللي هتروح.
- مين؟
- أنس
- ماشي. والحاجة التانية؟
- لازم تروح تقابل البنت، ممكن تكون ليها علاقة بالموضوع، ومتفقة مع الناس اللي عملوا كده في سعيد.
- ودي ها أوصلها إزاي؟
- أنا هاتصرف، أنا هاجيب لك بياناتها وأنت تروح تقابلها، ومن غير ما تشك في أي حاجة، المطلوب منك تعرف، هل ليها علاقة بالموضوع ولا متعرفش حاجة؟
- ماشي. بس لو طلع اللي عمل كده في سعيد مش إنسان؟
- قصدك المقبرة ولعنة الفراعنة وكده؟



- بصراحة آه. هو ده مش وارد؟
- بص يا بني أنا شفت حاجات بعيني لو سمعتها، عمري ما كنت صدقتها، لكن أيا كان الغيب والحاجات الخفية اللي ممكن ما نشوفهاش، في دايما حاجة أقوىٰ من كل ده، ودة اللي بيخليني أعرف أنام بعد كل اللي شوفته.
- ايه هي الحاجة دي؟
- قدرة الله سبحانه وتعالىٰ. مهما كان اللي بيواجهك، إيمانك بقدرة ربنا، يخلصك من أي شر.

****



أنس

تساءلت موظفة الاستقبال في فندق حورس عن طبيعة ذلك الزبون الذي يرتدي ملابس بسيطة، ويحمل حقيبة صغيرة للغاية، نادرا ما تراها في مكان عملها، فهي معتادة أن زائري الفندق دائما ما يحملون معهم حقائب ضخمة وكثيرة تناسب الأيام الكثيرة التي يقضونها في الفندق.

- سلام عليكم.
- أهلا يا فندم، أقدر أساعدك إزاي؟
- «أنا اسمي أنس وعندي حجز هنا في الفندق». تفاجأت الموظفة بالثقة التي يتحدث بها، حتىٰ أن ابتسامة السخرية التي تحاول كبتها والتي التي لم تطف علىٰ وجهها تراجعت سريعا وهي تقول بلطف مصطنع:
- ممكن البطاقة يا فندم... تمام مظبوط يا فندم، في شنط تانية أبعت حد يجيبها من العربية؟
- «لا مفيش غير دي ». وأشار إلىٰ حقيبته الصغير، «أصل أنا راجع بكرة إن شاء الله»
- يوم واحد بس؟ أصل احنا متعودين ضيوفنا بيطولوا معانا شوية، عشان السفر والمسافة بعيدة و...
- رقم الحجرة كام لو سمحت؟ عشان عايز أنام بس.

عندما نظر أنس من شباك حجرته أدرك علىٰ الفور وجهته، كانت استراحة الشيخ مبروك قابعة علىٰ مسافة قريبة من الفندق تبدو زاهية الألوان بأشجارها وزهورها وسط أصفر الصحراء الذي يحيطها من كل الاتجاهات.

حاول أنس في ذلك اليوم، أن يستمع إلىٰ ما يدور بين مالك ووالده، حيث كاد الفضول يقتله لمعرفة الأبعاد الحقيقية للمشكلة التي وقع فيها مالك، والتي تبدو خطيرة للغاية حتىٰ أن والده يصل القاهرة ويتحدثا علىٰ انفراد علىٰ غير عادتهما، فأسرار ذلك البيت كله يعرفها، حتىٰ أسرار منزل الحاج بالمحلة، فكان قد وصل لاتفاق ضمني بينه وبين خادم منزل المحلة أن يتحدثا علىٰ فترات ويتبادلا أخبار كل منزل، وحدث ذلك أول مرة عندما أراد الحاج استبدال «أنس» ب «عشري» خادم منزل المحلة، ولم يدر وقتها لماذا فعل الحاج ذلك، ولكن لم يستمر الأمر أكثر من شهر واحد، وعاد إلىٰ منزل القاهرة بناء علىٰ طلب «مالك».

طلب منه الحاج «محمد الزناري» -والد مالك- الذهاب إلىٰ تلك الواحة وذلك الفندق بالأخص لمقابلة «الشيخ مبروك» وأخذ منه ما أطلق عليه الحاج «الأمانة»، قرر أنس أن يستريح لمدة ساعتين للتخلص من تعب السفر، ثم يذهب للقاء الشيخ مبروك، ولكن بعد مرور عشر دقائق فقط، لم يستطع أنس أن يخرج فضوله من أفكاره، فكان يتخيل «الأمانة» وماذا قد تكون؟ هل هي أموال أو ملابس معينة،

أم ربما يكون شيئا يخص «سعيد»، ولكن لماذا لم يأت به «مالك» معه؟ فهو قد عاد من هنا لتوه، هل يكون شيئا خطيرا؟ ربما يكون سلاح من نوع ما؟ لهذا لم يرجع به مالك معه؟ وإن كان سلاح... فكل الخطورة ستكون من نصيبه، وربما أيضا يكون سلاح مستخدم في جريمة «سعيد»، ولكن لماذا يفعل به الحاج ذلك. ربما لحماية ابنه، تناثرت الأفكار بداخل عقله حتىٰ إنه لم يستطع حتىٰ إغلاق عينيه وليس النوم، لهذا قرر أن يتجه فورا إلىٰ «الشيخ مبروك» لأخذ تلك الأمانة اللعينة، واشتد شعوره بالكره لعائلة «مالك»، لم يكن يكره الأشخاص، ولكنه يكره الأموال التي أتاحت لهم التحكم بمصيره، وأن يكون هو كبش فداء لابنهم، اختلطت مشاعره بين تقدير المعاملة الطيبة، والمساعدات الكثيرة التي طالما ساعدوه بها، وبين الخطر المتوقع.

انتهت خواطره مع وصوله باب الاستراحة الحديد المزخرف ببساطة، ولكن بجمال أيضا، وعرف علىٰ الفور أن ذلك الرجل الوقور الذي يجلس متكئا علىٰ عصاه إنه «الشيخ مبروك»، كما وصفه مالك تماما، لهذا توجه إليه مباشرة وقال في لهجة صدرت منه عدوانية إلىٰ حد ما دون أن يقصد:

- أنت الشيخ مبروك؟
- «وأنت مين؟» أعاده سؤال الشيخ مبروك الأكثر عدوانية وتحفظ إلىٰ هدوئه، فأطلت ابتسامة خفيفة علىٰ وجهه قائلا:

- سلام عليكم الأول، معلش يا عم الشيخ بسأل عليك قبل السلام.
- «أنت مين؟»، لم تتغير لهجة الشيخ مبروك.
- انا جايلك من طرف الأستاذ «مالك»، عايز الأمانة اللي سايبها معاك.
- مالك مين وأمانة إيه؟ توكل على الله يا أستاذ.
- أنا معايا أمارة منه، قال لي أقول لك عليها. لم يجب مبروك بشيء... واستطرد أنس سريعا: «بيقول لك بأمارة الكلاب». ولم يجب مبروك بشيء أيضا، فارتبك أنس وهو يحضر في عقله بالتحديد ما قاله مالك:
- خلي بالك من الكلاب... الخوف من الإنسان مش من الكلاب.

نظر إليه مبروك نظرة مطولة، كأنه يزن الأمور في رأسه، ثم ترك أنس وحيدا بالخارج ودخل إلى الاستراحة وغاب لدقائق، حتى أن أنس فكر إنه قد نسيه تماما، وأخذ يفكر في كيفية الاتصال بمالك لمعرفة ماذا يفعل معه، إلا أن «الشيخ مبروك» ظهر خلف الباب آتيا من الداخل يحمل لفافة صغيرة، ابتلع أنس ريقه واشتد فضوله وهو يفحص اللفافة القادمة إليه مع الشيخ مبروك بنظرة محاولة منه لتخمين ماذا يحمل!

تجاهله مبروك وهو يعود لمجلسه أمام الاستراحة وهو يحمل اللفافة ثم سأله:

- «أنت شغال عند مالك من امتىٰ؟». تفاجأ أنس بصراحة السؤال الجارحة بعض الشيء، رغم عدم خلوه من حقيقة، وإنما حاول تجاهل شعوره بالصغر وأجاب بلهجة ودودة
- من وأنا عيل صغير يا حاج والله، أنا وأبويا من قبلي، شغالين مع الحاج أبو مالك من زمن الزمن، بس أبويا...
- «خد يا بني»، قاطعة مبروك دون اكتراث، ومد يده إليه باللفافة، ثم واصل حديثه:
- خلي بالك علىٰ روحك، وحافظ علىٰ الأمانة لحد ما تسلمها لأصحابها، وكل واحد يتحمل مسئولية أفعاله.

تناول أنس اللفافة بلهفة فضولي، وهو ينظر حوله ليتأكد أن لا أحد يراه وهو يأخذها، كما أوصاه «مالك»، ثم أخفاها داخل ملابسه ونظر إلىٰ الشيخ مبروك وكأنه سيقول شيئا ما، ثم أطبق شفتيه وأشار إليه بيده مودعا وتركه عائدا إلىٰ غرفته مسرعا.

وضع أنس اللفافة علىٰ سرير الغرفة، ووقف شابكا يديه أمام صدره وهو ينظر بتركيز شديد إليها، فبالرغم من صراعه الداخلي طوال الطريق من القاهرة إلىٰ الواحة، وهو يفكر إذا ما كان سيفتح الأمانة قبل العودة بها أم لا... ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أنه سيفتحها، وذلك لأكثر من سبب، الفضول والخوف مما قد يحمله دون أن يدري، والرغبة في اكتشاف سر جديد من أسرار «مالك»، الذي ربما



يحتاجه يوم ما للمساومة علىٰ شيء ما، لهذا كان يقف أمام اللفافة ليحفظ شكلها الخارجي حتىٰ يستطيع إرجاعها كما كانت، وأخيرا تقدم وفتح بهدوء وحرص، وعندما لمع ذهب التمثال أمام عينيه، لمعت عينيه بالمقابل حتىٰ كاد يضيء كامل الغرفة.

****



هدير

- «آنسة هدير. صح؟»، استوقفها السؤال المباغت، بعد أن عبرت الشارع المقابل لمكان عملها، استعداد للعودة لمنزلها، فالتفتت إلىٰ صاحب الصوت، فوجدت شاب يحمل وجها هادئا وطولا مهيبا، بالإضافة لكتل العضلات التي لم يحاول إظهارها بملابسه الواسعة.

- مين حضرتك؟

- «أنا اسمي مالك. وكنت عايز اتكلم معاكي شوية». كانت لهجته وصوته يحملان الكثير من الجدية وأحست بمشاعر الأنثىٰ أنه لا يرغب في شر من أي نوع، ولكنها واصلت لهجتها العدوانية.

- تتكلم معايا بخصوص إيه؟ وعرفت اسمي منين؟

- بعتذر لك علىٰ الطريقة، بس مفيش وقت واحنا لازم نتكلم.

- وقت لإيه؟ حضرتك عايز ايه بالظبط؟

- أنتي ما تعرفينيش بس بينا صديق مشترك.

- وحتىٰ...

- «الصديق ده اسمه محمد سعيد، اعتقد أنك تعرفيه كويس». شعرت هدير بارتباك شديد بعد سماع الاسم، ولم تدر ماذا تقول سوىٰ:

«أنا معرفش حد اسمه محمد سعيد. ماليش أصحاب اسمهم كده، وبعدين ...»، لم يتركها مالك لإكمال حديثها، فقاطعها بإشارة من يده، أن تنتظر...

- «أنا عايز أقول لك متقلقيش من حاجة، المقابلة التي تمت بينك وبين سعيد محدش يعرف بيها غيري، أنا مش عايز منك حاجة غير شوية اسئلة ومش هتشوفيني تاني، الموضوع مش هيكمل نص ساعة». شعرت هدير بنبرة الصدق في حديثه، خصوصا أن لا احد يعلم بمقابلتها لسعيد قبل السفر، لهذا أشارت برأسها إليه بالموافقة.

وبعد أن جلسا في ذلك المقهىٰ المطل علىٰ النيل، ظلت هدير تنظر إلىٰ المياه الساكنة بنظرة خاوية وهي تستند علىٰ السور الخشبي الأنيق، وبعد وصول مشروبات، طلبها مالك لها، باغتها مالك بسؤاله:

- مامتك عاملة إيه دلوقتي؟

- «مامتي؟» أجابت هدير مندهشة، ثم واصلت بعصبية «أنت بتسأل عن ماما ليه؟»

- عشان أنت قلت لسعيد -الله يرحمه- إنك مطلعتيش الرحلة بسبب أنها تعبت.

- آه... آه... أيوة فعلا، بس لا... ده كان تعب عادي، الضغط علىٰ عليها بس.

- «طب وخالتك عاملة إيه؟» سأل مالك وهو يركز بنظرة علىٰ وجهها، تراجعت هدير للوراء في مقعدها وشبكت ذراعيها أمام كتفها، وقالت له بنبرة تحدي:

- «طيب واضح أنك عارف عني حاجات كتير، وعارف إني عايشة مع خالتي وأن أمي الله يرحمها، أنا بقىٰ عايزة أعرف أنت مين، وعايز ايه بالظبط؟ قبل ما أقوم أمشي وأسيبك، وعلىٰ فكرة أنا معملتش حاجة غلط، رحت قابلت واحد عادي زي أي اتنين، ومفيش حاجة أصلا تثبت ده غير كلامك، وحتىٰ لو قابلته وقلت له هاطلع معاه ومطلعتش، إيه الجريمة في كده، صاحبك مات... ده عمره، أنا مليش دعوة بالموضوع ده، لا من بعيد ولا من قريب، علاقتي انتهت بسعيد من لحظة لما طلع اوتوبيس الرحلة، وعلىٰ فكرة سعيد مش أول واحد اقابله وأقنعه يطلع الرحلات دي، ده شغلي وأكل عيشي، أنت بقىٰ شكلك ابن ناس وغني، متفهمش في الكلام ده، باين عليك من عربيتك وكلامك وشكلك، أنا قلت اللي عندي، ومش فارقة معايا هتشوفني إنسانة وحشة،

بتاعة مصلحتها، بتضحك علىٰ الشباب، مش فارقة، ما كل الشباب بتضحك علىٰ البنات، ولأغراض أسوأ من كده مليون مرة، أنا عندي هدف في حياتي، ولازم أحققه، بأي طريقة شريفة، ومقابلتي لكام ولد عشان الشغل -من وجهة نظري- مفيهاش حاجة عيب، ممكن العيب لو كنت بطلع معاهم الرحلات دي فعلا».

كانت تتحدث بانفعال واضح، حتىٰ أن مالك لاذ بالصمت حتىٰ أنهت حديثها، وهو ينظر إليها بثبات دون أن يبدي أي ردة فعل، ثم ارتشف رشفة صغيرة من قهوته وقال في اقتضاب «أنا مصدقك، وشكرا علىٰ وقتك»، هدأت هدير بعد سماعها لكلامه، ونظرت إليه بعد أن كانت تنظر إلىٰ المياه، وقالت في ارتباك: «هو أنت صاحبه بجد؟ ولا شغال مع المباحث ولا ايه؟»

- انا الصراحة مش صاحبه بمعنىٰ صاحبه، ولا مباحث طبعا، أنا كنت أعرفه عن طريق صديق مشترك.
- صديق مشترك بردو؟

ابتسم مالك ابتسامة خفيفة وقال: «آه، وسعيد كلمني بعد ما سافر وطلب مني مساعده في موضوع كده، بس للأسف ملحقتش»

- هو ايه اللي حصل بالظبط؟ بصراحة أنا عندي إحساس بالذنب، عشان أنا كنت السبب إنه طلع الرحلة دي،

واللـي عرفتـه أنـه اتقتـل بطريقـة بشـعة، بـس معـرفش أي حاجة تانية.

- هي الطريقة كانت بشعة فعلا، الأفضل ماتعرفيش.
- ماشـي، أنـا آسـفة لـو كنـت انفعلـت عليـك، بـس أنـا قلقانـة وخايفـة مـن سـاعة الموضـوع ده، وخصوصـا لمـا جـه ظـابط حقـق معانـا، مقلـتش طبعـا إني قابلتـه، قلـت لهـم إني كلمتـه عـادي زي بـاقي البيانـات اللـي بتجيلنـا مـن الشـركة ووافق وخلاص.
- والشركة بتجيب البيانات دي إزاي؟
- لا دي معـرفش، احنـا بيجيلنـا بيانـات بصـورة دوريـة، أسـماء وأرقـام تليفونـات وسـن وفصـيلة دم، بـنكلمهم ونقـول الاسكريبت اللـي معانـا ونحـاول نقنعهم يطلعـوا، وكـل فـترة بتجيلنـا مجموعـة بيانـات جديـدة، بـس بتبقـي بعمولـة زيـادة، تقريبا الضعف، ودي كان منها بيانات سعيد صاحبك.
- اشمعنىٰ الضعف يعني؟
- معرفش بس صاحب الشركة نفسه هو اللي بيبعتهـا، بيقولـوا بتبقىٰ تظبيط تارجت بين الفنادق وشركات السياحة.
- والحكاية بتحصل كتير؟
- لا أنا بقالي سنتين في الشركة، دي تاني مرة تحصل، والأعـداد مش بتبقىٰ كتير.
- هو ايه علاقة فصيلة الدم بالموضوع؟

- معرفش، بس ممكن يكون عشان لو حصل حوادث أو حاجة.
- ممكن فعلا، عموما أنا متشكر ليكي وآسف علىٰ إزعاجك مرة تانية، أنا لازم أمشي دلوقتي، تحبي أوصلك لأي مكان؟
- لا مفيش مشكلة، أنا هاتصرف.
- اتفضلي ده رقمي في الكارت، لو احتاجتي أي حاجة كلميني.

ناولها كارت المعرض. فتناولته ونظرت إليه قائلة في سخرية: «صاحب معرض قماش! مش قلت لك ابن ناس وغني؟»

- «كلنا ولاد ناس، بعد إذنك».

****



المدرس

كان قد انقضىٰ أكثر من ساعة و«سمير» ما زال يجلس في غرفة التحقيق منتظرا ضابطا ما، كان يعرف أساليبهم جيدا، فتلك الطريقة القديمة المستخدمة في التحقيقات، بأن يتركوه مدة كبيرة من الانتظار حتىٰ تتحطم أعصابه، فيكون اعترافه أسهل، وأفكاره مبعثرة، ولكنه لم يعرف ما سبب ذلك التحقيق بالتحديد، فهو قد أنهىٰ مدة عقوبته منذ أكثر من سنة، ولم يفعل شيئا مخالفا للقانون منذ أن خرج، من المستبعد أن تكون تلك الدروس الخاصة التي يعطيها لأبناء الواحة هي سبب استدعائه، خصوصا إنه تم استدعاؤه بطريقة مهذبة إلىٰ حد ما، فقد أتىٰ عسكري إلىٰ المنزل وأبلغه أن الضابط ينتظره لمناقشة شيء ما، ولم تكن هناك قوة من المركز، بل فقط هذا العسكري.

قاطع أفكاره فتح الباب، ودخول أحد الأشخاص الذي يبدو أنه الضابط الذي استدعاه، وكان يبدو مشغولا بملف ما يحمله بيده وهو يقلب أوراقه دون أن ينظر إليه، وتوجه لمكتبه، ثم وضع الملف أمامه ونظر إليه، ثم سأل:

- «ازيك يا سمير؟ تشرب شاي؟» ودون انتظار إجابة ضغط زرا علىٰ المكتب وطلب كوبين من الشاي.
- ممكن أعرف أنا هنا ليه حضرتك؟

- طبعا... حقك... أنت هنا بسبب القضية اللي عليك... قضية الآثار المزورة.
- أيوة بس سعادتك أنا خرجت منها خلاص، اتعاقبت وأخدت جزائي وتبت الحمد لله، وبعدين زي ما سيادتك أكيد عارف، دي كانت قضية شروع في نصب، وأنا والله مكنتش أعرف أنها مزورة، ولا لحقت أطلع حتىٰ من بيتي بيها.
- أيوة بس كلمت الوسيط واتفقت معه علىٰ ميعاد للمعاينة، وبعدين أنت زعلان أنها طلعت مزورة، أنت عارف لو طلعت حقيقية كنت خدت كام سنة؟
- «والله يا باشا لو طلعت حقيقية، مكنتش اتمسكت أصلا». رد سمير وكأنه يحدث نفسه.
- طيب بص يا سمير، أنا جايبك هنا عشان اسألك سؤال واحد محيرني في قضيتك بعد ما قريت ملفك.
- اتفضل يا باشا؟
- في أقوالك قلت إنك لقيت التمثال في بيت الشيخ رجب، صح؟
- أيوة، والله لقيته في بيته، وأنا كنت بدي ابنه الدرس.
- احكي لي لقيته إزاي.
- الشيخ رجب مكنش موجود في البيت، وأنا كنت بذاكر لابنه، وبعدين الباب خبط، والواد راح يفتح الباب، وبعدين جه واحد معاه حاجة ملفوفة في قماش كتير، فأنا سألت الولد -

بدافع الفضول- «ايه ده يا حسن؟» قال لي دي حاجة واحد جايبها لأبويا من مصر، حطها علىٰ الكنبة وكملنا الدرس، بس أنا دماغي كانت بتاكلني، عايز أعرف إيه اللي في اللفة دي، طلبت منه يعمل لي كباية شاي، طلع هو الدور اللي فوق عند المطبخ يطلب من الجماعة بتوع الشيخ يعملوا الشاي، وأنا قمت بسرعة فتحت اللفة لقيت جواها التمثال – الله يحرقه بجاز – محستش بنفسي غير وأنا بحطه في جيبي، وجبت شوية ورق من عندي كرمشتهم في بعض، وحطيتهم وسط اللفة وقفلتها تاني ورجعت مكاني بسرعة. بس سعادتك، ده اللي حصل.

- الغريب بقىٰ – وده اللي خلاني أجيبك النهاردة- أن الشيخ رجب مبلغش عن السرقة.
- ما هو ده طبيعي يا باشا.
- طبيعي إزاي؟
- يعني يا باشا، هو أكيد عارف أن التمثال ده مكنش أصلي عشان كده مالوش لازمة، ولو حتىٰ مكنش يعرف إنه مضروب، مكنش يبلغ بردو عشان ميدخلش برجله في قضية آثار.
- طيب ما أنت بتفكر كويس اهو ... أومال اتمسكت إزاي؟ مكتوب في أقوال لك إنك حاولت تتصل بواحد في القاهرة يتوسط في البيعة، صح؟

- والله يا باشا حضرتك ضابط، وأكيد عارف أننا في منطقة أثرية، وأنا مش أول واحد يلاقي آثار، حتىٰ لو مضروبة، فتكلم ناس، والناس تكلم ناس، لحد ما نوصل لسكة، وكله بيبقىٰ طمعان في حتة.
- وأنت بتنزل القاهرة كتير ليه الفترة دي؟
- والله سعادتك الشغل هنا بقىٰ صعب، معلش يعني، احنا كمدرسين عايشين علىٰ الكام درس في بلد صغيرة زي بلدنا، ودلوقتي حتىٰ دول مش لاقيهم، هو مين حد عاقل في الدنيا، يدخل بيته واحد كان محبوس، فأنا بنزل أدور علىٰ شغل في القاهرة أو في بحري عموما، وناوي أسيب البلد كلها، بس كنت هابلغكم طبعا لو حصل نصيب واتقبلت، أنا عارف إني مش هاشتغل مدرس في مدرسة، لأن مفيش مدرسة هتقبلني فبدور علىٰ حاجة في المراكز الخاصة، الموضة الجديدة، الدروس الخصوصية بعد ما قننوها سعادتك.
- ماشي يا سمير، تقدر تتفضل، وزي ما أنت قلت، لو جالك شغل في أي مكان تاني لازم تبلغ.
- تمام سعادتك. ورفع يده بالتحية العسكرية بيده اليسرىٰ وهو ينحني خارجا.

ابتسم سامح للتحية العسكرية الخاطئة للحظة واحدة، ثم أشعل سيجارة وهو يراجع بعض النقاط في الملف للمرة الأخيرة، ثم أطلق زفرة طويلة مصحوبة بدخان سيجارته وأغلق الملف، ثم ضغط زر

علىٰ مكتبه، فدخل عسكري الخدمة مؤديا التحية العسكرية، فطلب منه إحضار «عواد» وعمل قهوة.

دخل عواد بعد دقائق قصيرة ووقف في انتظار سامح، الذي كان يضع أمامه ملفين ويبدو وكأنه يحتار فيهما أيهما يختار.

- عواد، أنا طلبت منك ملفات الناس المشتبه فيهم الذين يترددون علىٰ الواحة من تلات شهور فاتوا صح؟
- تمام سيادتك، ولقيت تلاتة مشتبه فيهم، واحد إرهابي، وواحد كان ممسوك نصب في قضية آثار مزورة، والأخير كان متهم بخطف مراته وعشيقها لكن مخدش حكم.
- أنت قريت الملفات دي؟
- لا والله يا فندم، جبتهم علىٰ سيادتك علىٰ طول.
- طب تفتكر مين يبقىٰ المشتبه فيه الأول؟ الإرهابي ولا النصاب ولا القاتل؟
- والله يا فندم أنا أشك في النصاب الأول.
- ليه؟
- طبيعة الجريمة اللي حصلت بتقول كده، النصاب ده كان يبيع آثار مضروبة، وأعتقد سيادتك أنه مكنش يعرف أنها مضروبة، يعني هو كان بيبيع آثار، وطبيعة الجريمة اللي حصلت للشاب، ومكان حدوثها وسط الصحراء، يمكن يكون أقرب حاجة لشغل الآثار، ممكن يكون الشاب كان جاي ياخد منه

حاجة أو وساطة من أي نوع واختلفوا، فقتله، ومثل بجثته عشان يلبسها لحوار اللعنة المنتشر في الواحة من زمان ويبعد عنه الشبهات.

لم يستطع سامح إخفاء نظرة الإعجاب في عينيه وهو يقول «تحليلك دقيق يا عواد، وللأسف ده نفس اللي فكرت فيه، بس للأسف بردو مش هو، ده مدرس غلبان، كل جريمته أنه طمع، ولقىٰ الجريمة سهلة قدامه، فكمل وداس، بس لأنه مش مجرم بطبعه، مش عنده أهم صفة في المجرمين، وهي الحرص»

- سيادتك قلت للأسف... معنىٰ كده أن سيادتك استبعدته؟
- مؤقتا أيوة، ها... تفتكر مين المشتبه فيه الثاني؟
- والله أنا شايف الإرهابي.
- ولية مش التالت؟
- التالت ده سيادتك تهمته، قتل أو خطف عشان كان بيدافع عن شرفه، مراته وعشيقها، أنا مقرتش الملف بس أنا مستبعده من الأول.
- انا أستبعد الإرهابي. عارف ليه؟ هو معملش حاجة فيها قتل أو شروع ولا حتىٰ تهديد، ده قضيته كلها سياسية
- طب يبقىٰ فاضل واحد.
- هو ده. أنت عارف إنه طلع براءة لعدم وجود الجثث، وهو أقنعهم في التحقيق أنهم هربوا مع بعض واختفوا، بس التحريات بتقول كلام تاني خالص.



- بتقول ايه يا فندم؟
- الراجل كان بيشتغل أساسا جزار، حتىٰ اسم الشهرة بتاعه الجزار، بس مش عشان شغلته، عشان الطريقة اللي قتل بها مراته وعشيقها، مفيش حاجة اتثبتت عليه لحد دلوقتي، بس في كلام متداول في المنطقة اللي كان فاتح فيها محله.

****



أنس

جلس مالك علىٰ المقعد المواجه لمكتب المعرض الرئيسي، والذي كان يجلس عليه والده، يراجع بعض الحسابات ويستفسر من مالك عن بعض الأشياء التي لم تكن واضحة، ولكنه لاحظ شرود ولده غير المعتاد أثناء العمل، لهذا سأل:

- لسة تليفونه مقفول؟
- أيوة، رغم إنه كلمني، وأكد لي إنه أخذ الأمانة من الشيخ مبروك، والمفروض كان يجي من يومين، بس من ساعتها اختفىٰ.
- والشيخ مبروك مش معاه تليفون نسأله؟
- معرفش... بس ده راجل عايش وحيد في قلب الصحراء، أكيد مش محتاجه، وأصلا مفيش شبكة حتىٰ نتصل بيه.
- كلمت أمه في الصعيد؟
- كلمتها، قالت لي بقاله ثلاث أيام مكلمهاش، وهي كمان قلقانة عليه، وقلقت أكتر لما كلمتها
- المفروض مكنتش كلمتها.
- «ما أنا عارف، بس ملقتش حل تاني قدامي». نظر إليه والده بنظرة تفهم، ثم استطرد:
- تفتكر يكون طمع؟

- أنت اللي مربيه يا حاج، معتقدش أنه يعمل كده.
- انا اللي مربيه آه، بس الواد عمره ما كان زي أبوه، أبوه كان راجل جدع وأمين، أنا كنت اعتبره صديق ليا، وياما أخذت رأيه في حاجات، حتىٰ الشخصية منها، أنت تعرف إنه كان صاحب فكرة اني أسيبلك المعرض، وأروح أنا المصنع، رغم أنك كنت لسة صغير، بس هو كان شايفك صح.
- أنا عارف أن «أنس» مش زي أبوه، وكنت بلاحظ إني دايما متراقب، وبيسمع كل مكالماتي وهو في المطبخ، بس بردو كنت عارف أنه بيعمل كده عشان يطمنك عليا، ويكسب بنطة عندك بردو، ومكنش عندي مشكلة في كده.
- بس اللي متعرفوش يا أستاذ، أنه كان بيعمل كده بتعليمات مش بمزاجه.
- تعليمات منك أنت؟ أومال ايه الثقة، وسايب لي كل حاجة وبتاع؟
- يا واد استنىٰ، التعليمات مكنتش مني، دي من الحاجة مباشرة. وأطلق ضحكة قصيرة قاطعها رنين هاتف مالك، الذي نظر إلىٰ الشاشة باستغراب، ولم يحرك ساكنا، حتىٰ انتشله صوت والده:
- مالك يا بني تنحت ليه؟ مين بيكلمك؟
- ده رقم هدير، البنت بتاع...
- عارفها، ما ترد عليها يمكن في حاجة جديدة.

- ألـو، أيـوة يـا هـدير ازيـك؟ ثـم صـمت لدقيقـة كاملـة وبـدا علـىٰ وجهـه الاهتمـام الشـديد، ثـم أنهـىٰ المكالمـة معهـا، فسأله والده:
- عايزة إيه؟
- الموضوع فيه حاجة غريبة يا حاج.
- ايه الغريب؟ قالت لك ايه؟
- لما اتقابلنا... قالت لـي أن بيانـات معينة للزبـائن المحتملين بتجيلها كل فترة، وبيبقىٰ العمولة بتاعتها أعلىٰ.
- ماشي واية المشكلة؟
- البيانات دي بيبقىٰ فيها الاسم والسن والتليفون وفصيلة الدم.
- ماشي بردو.
- لما سألتها المرة اللي فاتـت، بيبعتوا لكـم فصيلة الـدم ليه، قالت لي عشان لو حصلت إصابة أو حاجة.

بدأ الاهتمام يتزايد علىٰ وجه الحاج، واعتدل في مجلسه أكثر من مرة، وهو يقطب جبينه ويبدو عليه التفكير الشديد في كلام مالك ثم سأل ببطء:

- وبعدين؟
- هدير قالت لي دلوقتي إني لفت نظرها، لما سألت عن فصيلة الدم، فلما رجعت الشغل طلعت البيانات اللي كان فيها اسم سعيد -الله يرحمه- ولقت حاجة غريبة.



- لقت ايه؟

نظر إليه مالك ثم أجاب في هدوء كأنه غير مستوعب:

- كل البيانات اللي جاتلها... فصيلة دم واحدة.

****



سامح

- «صباح الخير يا سامح، أخبارك ايه؟»، تفاجأ سامح بتلك المكالمة من مديره في ذلك الميعاد المبكر للغاية، فالساعة لم تصل السادسة صباحا بعد، ولكنه أدرك أن الأمر خطير، لهذا جمع شتات نفسه سريعا، وهو يرد عليه بحذر:
- صباح النور يا فندم، أوامر سيادتك.
- أنت كنت بتحقق من كام يوم مع واحد اتمسك في قضية نصب، كان يبيع آثار مزورة، صح؟
- «تمام سيادتك»، رد عليه سامح وهو ما زال يتسائل عن علاقة الشخص بالمكالمة.
- «التمثال اللي كان بيبيعه شكله ايه، تعرف؟»، تفاجأ مرة أخرىٰ بالسؤال، ولكنه أجاب سريعا:
- أيوة، شفت صوره في الملف، تمثال ذهبي علىٰ شكل ملك فرعوني شايل فأس أو حاجة شبة الفأس، بس الوش، وش قطة.
- أنت طبعا مستغرب اسئلتي.
- أكيد سيادتك بتفكر في حاجة، لسة أنا مفهمتهاش.

- في واحد جه من أسبوع الواحة ونزل في فندق أحمس، اللي حصلت فيه الجريمة، اللي بتحقق فيها، الراجل ده جه يوم واحد ومشي.

رد سامح دون فهم: «ممكن سيادتك يكون جالة ظرف بعد ما وصل هنا فرجع تاني، بتحصل»

أكمل المدير دون أن يبدو كأنه سمع شيئا : «الراجل ده قابل الشيخ مبروك فقط، مدخلش حتىٰ الصحرا يعمل مكالمة تليفون، زي كل الزوار، اللي يهمنا ايه في الموضوع؟ الراجل ده يبقي شغال عند مالك، اللي كان المتهم الأول في القضية».

- «أكيد بعته يجيب حاجة كان نسيها» أكمل المدير مرة أخرىٰ:
- «الراجل ده لقوة بعد أسبوع لما رجع من الواحة في أسوان... مقتول».

هنا لم يقاطعه سامح، بل بدا عليه الاهتمام الشديد، وتابع المدير حديثه «لحد هنا، مفيش إثارة، خد اللي جاي بقىٰ، عارف اتقتل إزاي؟»

- «لقو نص جثته؟» أجاب سامح بتوجس وصوت منخفض.
- لا لقوا النصين.
- نصين؟

- أيوة، الجثة كانت مقطوعة نصين بس موجودين، مفيش نص مختفي زي القضية بتاعتك، لكن المعاينة الأولية تشير لنفس طريقة القطع.
- طب سيادتك، كنت سألتني علىٰ التمثال في الأول، ايه علاقته بالموضوع؟
- علاقته أنهم لقوا التمثال جنب الجثة.
- واضح يا فندم أن التمثال ده مزيف... بس لعنته حقيقية.
- أنا عايزك تنزل القاهرة، تفتح التحقيق مع مالك تاني، وتعرف ايه اللي بيحصل بالظبط، في حلقة مفقودة في اللي بيحصل ده، ومش هنقفل القضية غير لما نوصل إلىٰ اللي ناقص.
- تمام سيادتك، وبعد المعلومة الجديدة دي، كده مش مستبعد أن سعيد كمان كان بيعمل حاجة مخالفة وعشان كده اتقتل، تمام سيادتك، في كام حاجة ضرورية جدا هعملها هنا الأول، وبعدين هاتحرك علىٰ هناك، أنا بكرة إن شاء الله هكون هناك.

وبعد أن أنهىٰ سامح المكالمة مع مديره، أمسك قلمه ومجموعة أوراق صغيرة، مخصصة للالتصاق علىٰ الأسطح، وأخذ يكتب كل معلومة أكيدة بلون معين، والمعلومة التي يشك فيها دون دليل لون آخر، وأخيرا المعلومة الناتجة عن حدسه الخاص دون دليل بلون آخر، وجمع الأوراق علىٰ الحائط المقابل لسريره بترتيب معين، وأخذ يرسم خطوطا متقاطعة بين المعلومات المشتركة، حتىٰ اجتمعت كل الخطوط في اتجاه ثلاث اشخاص، مالك، مبروك



والجزار، شبك يديه أمام صدره وسكن تماما لدقائق، لم يكن يتحرك فيه شيئا سوىٰ عينيه وأفكاره، ثم عقد حاجبيه بعزم وإصرار وهو يهز رأسه لأعلىٰ ولأسفل وكأنه يؤكد لنفسة حقيقة ما توصل إليه، ثم أخرج هاتفه وطلب أحد مساعديه: «اسمع كويس وركز في اللي هقوله».

****



الجزار

جلس «الدكتور عمران» مع اللواء بهاء، في مكتب الأول بمستشفى العمران ودار بينهم ما يلي:

- مبروك يا دكتور. عملية ناجحة والراجل مبسوط أوي.
- الله يبارك فيك يا بهاء، العملية كانت صعبة جدا فعلا، لأن الراحل سنه كبير، بس الحمد لله مشيت كويس، لولا أن الجزار لحقنا في الوقت المناسب، كان طار الزبون ده، وكنا هنخسر كتير.
- مش الجزار اللي لحقك يا دكتور... أنا اللي لحقتك، كالعادة يعني.
- أيوة طبعا، ده أنا بعد الموضوع الأخير اللي حصل، وقلت خلاص كده مش هنعمل حاجة تاني... لكن فكرتك أننا نغير المكان بمكان جديد، كانت في الجون. بس أهم حاجة، الموضوع يمشي في نفس الاتجاه، مش عايزين حد يفكر غير في العفاريت وبس.
- متقلقش يا دكتور. أنا مرتب كل حاجة مع الجزار.
- بس سيبك أنت، الجزار ده لقطة، أنت لقيته فين؟

- الجزار ده قصة طويلة، أول ما شفته عرفت أني مش هسيبه، قلبه ميت حرفيا، وبعدين مكنش حد هيعرف يعمل اللي بيعمله ده غير واحد زيه.
- وأنت عرفته منين؟

نظر «بهاء» إلىٰ ساعته، ثم قال:

- هأقول لك، هي قصة طويلة شوية، بس احنا معانا وقت لحد معالي الوزير ما يوصل.

****

لم يكن يستسلم للتعب أو إرهاق أو حتىٰ نوم يطلبه عقله قبل جسده، فدائما ما يشتعل نشاطا عندما يمارس مهنته، لم يكن فقط يحب المهنة، بل كان يتلذذ بها إلىٰ أقصىٰ الدرجات، فعندما أجبره والده علىٰ ترك المدرسة صغيرا ليعمل، حتىٰ يتكلف بمصاريف دراسته، والتي كان الاثنان يريا ألا طائل منها ولا فائدة، جرب جميع المهن التي تناسب مؤهلاته كمراهق في الرابعة عشر من عمره، بداية من مساعد في صالون حلاقة، وصبي في قهوة، وحتىٰ مع عمال الإنشاءات في المباني الجديدة، لم يستمر طويلا في أي منهم، بل كان ينهي عمله بطريقة عنيفة، عن طريق الشجار مع أحد الزملاء العاملين بنفس المهنة، أو حتىٰ مع صاحب العمل نفسه، كان يبدي اعتراضه علىٰ المهنة ككل، عن طريق الشجار المستمر مع أقرانه فيها، لم يكن قوي

الجثمان، أو يحمل شيئا يؤهله لكل تلك الشجارات سوىٰ شجاعته، وعدم رهبته من أي شخص مهما كان حجمه أو سلطته، وأحيانا كثيرة كانت تؤدي شجاعته -المبالغ فيها- إلىٰ نتائج عكسية تماما، فتخيل أن يدخل معركة في مواجهة خمس أشخاص، أقلهم ضعفه في الحجم والسن، لم تكن النتائج كلها فوز بالتأكيد، ولكن لم يكن كل شيء يحدث له هو سيء تماما، فكثرة تنقلاته بين المهن، أوصلته أخيرا لمحل جزارة، صاحبه رجل صالح، يجيد التعامل مع المراهقين أمثال «إمام»، فعندما بدأ عمله معه، احتواه جيدا، وعلمه أساس العمل، والذي يبدأ من تولي مهام النظافة، شاملة الدم بعد الذبائح وحتىٰ الفضلات في الحظيرة الصغيرة الملحقة بالمحل، ولكن إمام لم يعترض قط، بل بدا سعيد، وخصوصا في يوم الأربعاء من كل أسبوع، وهو يوم الذبح، فكان يراقب المعلم والمساعدين أثناء عملية الذبح، وعندما يرىٰ مشهد الدماء التي تفور من رقبة الذبيحة، يشعر بالارتياح يغمره، لم يعرف سببه، ولكنه كان يومه المفضل في الأسبوع، خصوصا عند عودته إلىٰ البيت لوالدته يحمل إحدىٰ قطع العظم الكبيرة، وبعض قطع اللحم التي لا يشتريها زبائن المحل، واستمر «إمام» طويلا في تلك المهنة، دون الدخول في مشاجرات مع أي من زملائه، وبالطبع صاحب المحل، وطالما أصر أن يعلمه المعلم الطريقة الصحيحة للذبح حسب الشريعة، ولكن المعلم كان يطالبه بالانتظار دائما، وبعد فترة من العمل، بدأ يشعر بنوع غريب من الشفقة علىٰ الحيوان المذبوح، وكان يتساءل هل يتألمون، وخصوصا عندما

يكتفـون، ويلقـون أرضـا، وتجحـظ أعيـنهم تجـاه مـن تقـع عليـه مـن الـواقفين، وكـأنهم يطالبون بالرحمـة، أو الغيـث ممـا هـو آت، وبعـض الأحيـان يقـوم المعلـم بضـربهم علىٰ رأسـهم عـدة مـرات قبـل الـذبح، ولكنـه يعـود ليفكـر في نفسـه: أليسـوا مجـرد حيوانـات، خلقـت للـذبح وإطعام الإنسان؟ وعندما وجه أسئلته للمعلم مترددا ومتوقعا السخرية من مشاعره، إلا أن المعلم أجابة بجدية:

- ده أمر طبيعي، لأنها أرواح خلقها الله سبحانه وتعالىٰ وبتحس زينا، لكن برده خلق الحيوانات عشان الإنسان يتغذىٰ عليها وتعيش ذريته، ولكـن ربنـا وصىٰ عليهم بالرحمـة في الـذبح ووضع لها قوانين محددة، لا يكون الذبح إلا حلالا، غير لما تطبق الشروط دي، الشروط دي ربنا عملها لسببين؛ أولهما أن الحيوان ما يتألمش، وثانيهما أن لو الحيوان اتذبح بطريقة غيـر دي، الـذبح هـايكون مـش نضـيف، وده ممكـن يـؤدي لأمـراض عنـد الإنسـان نفسـه -سـبحان الله- وده عشـان الحيـوان مـا يتـألمش لحـد مـا يمـوت أو تخفـف عنـه الألـم لأقصىٰ درجة ممكنة، وبعدين أنـت هتتعـود واحـدة واحـدة علىٰ المنظر ده، وعشـان كـده احنـا مـش بنخلـي الحيوانـات تفضل في الزريبة بتاعتنا لمدة كبيرة، بنجيبها قبل الـذبح بيوم أو يومين بالكتير وبعدين نسمي الله عليهم.

شعر إمام بشيء من الارتياح بعد كلام المعلم لـه، وأحـب مهنته أكثـر وأكثـر، وطالمـا طلـب مـن المعلـم أن يـتعلم بنفسـه طريقـة الـذبح

الصحيحة، حسب الأصول الشرعية التي حددها الله، ولكنه دائما ما كان يجيبه «إن شاء الله قريب»، ولم يتذمر أو يبدي أي انزعاج، بل واصل عمله الشغوف الجاد بحماس أكثر من الأول، حتىٰ الزبائن كانوا يجزلون له العطاء عند توصيل طلباتهم بابتسامة لطيفة. وبعد مرور عدة أشهر، و«إمام» ما زال في الانتظار، استدعاه المعلم، وبدأ حديثه معه، قائلا:

- «فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»، حافظ الحديث ده يا إمام؟
- طبعا يا معلم، ده أنت معلقه فوق مكتبك، وبقراه كل يوم وأنا بنضف.
- طب فاهم الرسول(صلىٰ الله عليه وسلم) كان يقصد ايه بكلامه؟
- كان يقصد أننا ما نعذبش الذبائح قبل ما ندبحها.
- تمام، وكمان أصر علىٰ أن الشفرة اللي هي السكينة أو الساطور دلوقتي تكون حامية، ليه؟ عشان في فرق بين الذبح والتقطيع، لو السكينة تلمة هتقطع في جسم الحيوان، عشان كده لازم تكون تذبح مش تقطع. فاهم؟
- أيوة، فاهم يا معلم.
- طيب عارف احنا ليه بنسيب البهيمة ترفس لحد ما تسكت خالص؟

- لا مش عارف دي.
- عشان الترفيس ده بيخلي العضلات تخرج كل الدم اللي فيها. والدم ده هو سبب أمراض كتير بتيجي للإنسان لو أكل الذبيحة وهي لسة بدمها، عشان كده ربنا مقالش اضربوهم أو غرقوهم في مياه، أو أي طريقة تانية، لازم ذبح ولازم الدم كله يخرج.
- سبحان الله.
- «شوفت المعزة البني اللي مربوطة جنب السور دي؟» وأشار بيده تجاها.
- أيوة شايفها.
- فكها وهاتها.
- أحضر «إمام» المعزة، ووضعها أمام المعلم، فوضع يده على ظهرها بهدوء، ولكن بحزم حتى سكنت ولم تتحرك ثم رفع بيده الأخرى عنقها بحركة هادئة، وأشار بإصبعه إلى نقطة محددة في العنق وأشار ل إمام بعينه عارف ده ايه؟
- «دة العرق اللي يطلع منه الدم». ثم أشار المعلم بإصبعه في الاتجاه المقابل للعنق ونظر إليه دون سؤال.
- ده العرق التاني.

ترك المعلم المعزة وأشار إليه باسترجاعها لمكانها بطرف عينه. وعندما رجع إمام للمعلم أكمل حديثه:

- العرقين دول لازم بيتفتحوا مع بعض في نفس الوقت بالظبط.
- «تمام يا معلم»، شعر «إمام» بخيبة أمل، لأنه توقع أن تكون تلك تجربته الأولىٰ بعد كل تلك الدروس.
- «يوم الأربع تذبح الذبيحة دي». طار إمام من الفرح بداخله، ولم يكف عن شكر المعلم حتىٰ نهره بصرامة وطالبه بأن «يشوف شغله».

مرت الأيام بطيئة، حتىٰ وصل اليوم المنشود، وارتدىٰ إمام ملابس جديدة، حيث إنه تقدم للتو خطوة كبيرة في عمله، في مهنة الجزارة درجات، وليس مسموحا لأي أحد بخطوة إزهاق روح الحيوان، كانت تعتبر نوع من أنواع الترقية، وخصوصا إنه لم يكن قد قضىٰ وقتا طويلا في تلك المهنة، وعندما وصل إلىٰ المحل، استدعاه المعلم قبل أن يبدأ، ليعطيه بعض النصائح الأخيرة:

- بص يا إمام، من شروط الذبح -التي أقرها الله سبحانه وتعالىٰ- أن اللي يذبح، و ذبيحته تكون حلال قدام ربنا، إنه يكون رجلا عاقلا، ورغم أنك لسه صغير لكن أنا بعتبرك راجل في مسئولياتك، وربنا اداك عقل أكبر من سنك، فا يلا نتوكل علىٰ الله.

وابتدأت إجراءات الذبح، من ربط الذبيحة، وسن السكين المخصص للذبح، ومستمعا جيدا لكل تعليمات المعلم، تحسس رقبة الذبيحة بأصابعه، وتأكد من مكان العرق المنشود في كلا طرفي الرقبة، ثم سمىٰ

الله وبدأ بالذبح، وعندما انفجرت العروق بالدماء اللزجة الساخنة، التي أغرقت يداه وبعض أجزاء من وجهه، تراجع للخلف خطوة، بدفعة بسيطة من المعلم، الذي كان يقف وراءه وهو يوجه تعليماته لباقي المساعدين، لم يكن إمام يسمع شيئا مما يقال، كان في لحظة نشوة لم تصبه من قبل، كان ينظر إلىٰ عيني الذبيحة وهو يشعر بقوة شديدة تغمره، اختفت كل مشاعر الشفقة التي كانت تصيبه علىٰ أي حيوان يراه يذبح أمامه، بل شعر أن هذا الحيوان هو ملكه، وهو ربه، أخذ حياته، بدون عناء وبمنتهىٰ السهولة، لم يخرجه من أفكاره سوىٰ هزة المعلم لكتفه، وهو يطالبه بأن يحضر بعض الأواني، بها بعض الماء لإتمام عملية النظافة.

وبعد انتهاء اليوم، وأثناء عودته إلىٰ البيت يحمل كيسا به بعض أفضل أنواع اللحمة من ذبيحته، كمكافأة له من المعلم، كان يسير هادئا مستمتعا بالسير، وهو ينظر إلىٰ المارة حوله نظرة سخرية خفيفة، كأنه يقول «أنتم لا تعرفون ما أنا أعرفه، لن تشعروا أبدا بتلك القوة المطلقة، أنا اليوم إله لإحدىٰ المخلوقات، أخذت حياته بيدي، حتىٰ وإن كانت مجرد معزة، ولكنها روح، وأنا أخذتها»

استمر إمام بعمله، مستمعا به كأفضل ما يكون، وكان ينتظر يوم الأربعاء من كل أسبوع، كأنه عيد للتمتع بتلك النشوة أكثر فأكثر.

ومرت الأعوام، وكبر إمام وتوفي المعلم، لهذا قرر إمام أن يفتح محله الخاص، بعد أن وفر شيء لا بأس به من عمله، وبالفعل، لبس إمام ثوب المعلم، بدلا من الصبي، وإن كان يصر علىٰ القيام بعملية الذبح بنفسه، حتىٰ يشبع تلك الرغبة الخفية برؤية ولمس الدماء الساخنة، واستقرت أموره المادية، وقرر الزواج بإحدىٰ قريباته، مثلما نصحته والدته، وبعد أن اشترىٰ بيتا بدورين، كعلامة الثراء في تلك المنطقة الشعبية التي يسكنها، تم زواجه بقريبته، كان زواجا تقليديا يخلو من المشاعر وإنما لا يخلو من المجاملات، ولم يرزق بأطفال، حتىٰ مع إصرار والدته وزوجته بالذهاب لأحد الأطباء، لم يستمع إليهم أبدا، في الحقيقة لم يكن يرغب في أطفال، إلا بسبب استكمال صورته الرجولية أمام من حوله.

وفي أحد الأيام، وعلىٰ غير العادة، شعر بتوعك شديد في معدته، وبعد أن قاوم لعدة ساعات لم يستطع المواصلة، فقرر الذهاب إلىٰ المنزل بعد أن أبلغ مساعديه أنه ذاهب إلىٰ أمر ما وراجع، فلا يجب أبدا أن يعرف عمالك أنك لن ترجع فجأة.

كان المنزل يتكون من طابقين.. الأرضي، كان يجعله حظيرة صغيرة، لاحتواء بعض الحيوانات قبل المواسم والأعياد، حيث يكون المحل مزدحم، والثاني به منزله، عندما فتح الباب الكبير للمنزل في الطابق السفلي، ونظر نظرة سريعة، أحصي فيها ما يوجد من حيوانات في الحظيرة -كعادة قديمة- توجه إلىٰ السلم الرخام الذي يقوده إلىٰ

شقته في الطابق العلوي، وعندما اقترب من باب المنزل، وهم بالطرق -كعادته- دون أن يستخدم مفاتيحه، لفت انتباهه، أو بالأحرى أنفه، رائحة غريبة تصدر لأول مرة من منزله -رائحة سجائر- ارتاب في الأمر فأخرج مفاتيحه بهدوء، ودخل وكانت رائحة السجائر أقوى بالداخل، ذهل في البداية، فهو لم يكن يدخن سوى المعسل بحكم أصول المهنة، وبالتأكيد زوجته أيضا لم تكن تدخن، اقترب بهدوء من باب حجرته -مصدر الرائحة- وهنا وقع عليه لوح من الثلج، شل أقدامه، قبل أن يشل أفكاره، كانت زوجته بالداخل تتحدث مع رجل، وقبل أن يجمع شتات أفكاره، سمع منها بعض الألفاظ التي لم يخطر إطلاقا على باله أن تخرج من فم زوجته، تلك الفتاة الريفية البسيطة، كانت ألفاظا لم يسمعها سوى مرة واحدة، عندما حضر فرح أحد أقاربه الأثرياء، وكانت الراقصة شبة العارية تلهو بها مع أصحاب النقوط في الفرح، وعندما وصل لمسمعه بعض المقارنات بين الرجل بالداخل وبينه، أصابه الشلل الحقيقي، حتى إنه لم يقدر أن يخطو خطوة أخرى، ليدخل الحجرة، أصابه ذهول تام مما يسمعه، لم يكن الجنس هو شهوته المفضلة، والحقيقة إنه لم يكن يحب زوجته، ليس إلا لأنه لم يفهم أبدا ما هو الحب، وكيف تتعلق بشخص ما ولا تستطيع الابتعاد عنه، فهو يستطيع الابتعاد عن العالم كله بغمضة عين، ولكن عندما سمع الكلام الصادر من زوجته للرجل شعر بشيء غريب تجاهها، شعر بالرغبة فيها لبضع ثواني، ثم أصابه اشمئزاز كبير من نفسه، لتفكيره بهذا الأمر.

لـم يشـعر إلا وهـو يسـحب السـكين اللامـع المصـقول جيـدا، ذو اليـد الخشبية المزخرفة الخاص به، والذي لا يفارقـه إلا أثنـاء النـوم، وفـتح الباب بهدوء، كان الاثنان عاريـان تمامـا، يبـدوان كأنهـما قـد انتهيـا منـذ لحظات، وعندما جحظت عيناهمـا مـن الدهشـة، وقبـل أن يتحـرك أي منهما من الصدمة، توجه أولا إلىٰ الرجل بحركة سريعة، وطعنـه طعنـة قوية في فخذه، مكان الشريان، فانطلقـت نـافورة الـدماء المحببـة لـه، و الرجل يصرخ من الألم، وقبل أن تهم الزوجـة بـالهروب، أمسـكها مـن ذراعها بقوة، ثم ألقاهـا علىٰ السـرير، وطعنهـا في نفـس المكـان بـنفس الهدوء، ثم نظر إليهم نظرة لا تـحمل أي معنىٰ، ونظف سكينه جيـدا في ملاءة السرير ثم توجـه إلـىٰ كرسـي أمـام المـرآة وجلـس في مـواجهتهم دون أن ينطق.

****



العميد بهاء الديك

دخل ضابط على العميد «بهاء الديك» في مكتبه بعد ما أدى له التحية، فأشار له «بهاء» بالجلوس قائلا له:

- «اتفضل اقعد خير؟»، فجلس الضابط شاكرا، ثم بدأ حديثه قائلا:

- في قضية كده كنت عايز اخد رأي سيادتك فيها.

- «أي قضية؟»، سأل «بهاء» وهو يقرأ بعض الأوراق أمامه.

- قضية المدرس اللي اختفى والست اللي اختفت معاه.

- آه قل لي وصلتوا لإيه؟

- سيادتك بعد ما جبنا سجل الرسائل والمكالمات من تليفون الراجل، بعد ما أهله بلغوا باختفائه، فلقينا أن هو كان مصاحب واحدة مرات جزار- قلبه قاعد ابن الذين- كان بيروح لها البيت، وجوزها في المحل، مرة كل أسبوع تقريبا ساعات أكثر وساعات أقل، آخر مرة ظهر فيها، كان بينهم ميعاد عندها في شقتها، ومن ساعتها ما رجعش، الست كمان اختفت في نفس اليوم تقريبا.

- «يعني ايه تقريبا؟ في نفس اليوم ولا مش في نفس اليوم؟ ما فيهاش تقريبا دي يا حضرة الظابط». قال بهاء منفعلا.
- «احنا فعلا مش عارفين يا فندم، لأن جوزها أصلا ما بلغش أنها اختفت، غير لما احنا بعتنا له مخبر يسأل عليها». ترك «بهاء أوراقه، وبدا عليه الاهتمام وهو يسأل:
- غريبه دي... طب أنت شايف ايه؟
- احنا قدام احتمال من اثنين يا فندم، الأول أنهم هربوا مع بعض زي بتوع الأفلام وكده.
- والثاني؟
- الثاني بقى ونتيجة تحريات قالت أن جوز الست دي، روح بدري في نفس يوم اختفاء المدرس، ودي مكنتش عادته اطلاقا.
- فانت بتفكر أن هو قفشهم فقتلهم مثلا أو خطفهم؟
- تمام سيادتك، بس مفيش آثار للأسف لأي حاجة، أنا جيت لسيادتك عشان عايز إذن النيابة أفتش شقتهم.
- هاجيب لك الإذن بس أنا عايزك بعد تفتيش الشقة تجيب لي الراجل ده.
- أجيبه بشكل رسمي؟
- «أيوة طبعا، ده أول مشتبه فيه، والوحيد». ثم قال له بلهجة آمرة: «لحد ما يظهروا أو حد فيهم يظهر، وجه له قضية خطف وجيبه».

- تمام سيادتك.

وبعد عدة أيام في مديرية الأمن، دخل عسكري يؤدي التحية لبهاء وقال له «إمام الجزار يا فندم».

أشار له بهاء، وهو يقرأ في أحد الملفات أمامه وقال له: «هاته»

دخل العسكري و«إمام الجزار» متكلبش في إيده فقال له بهاء:

- فك الكلابش واخرج بره.
- اقعد يا إمام، تشرب شاي؟
- متشكر سعادتك.
- مراتك فين يا إمام؟
- معرفش والله يا باشا، اختفت، وأنا بلغت، يعني المفروض أنا اللي اسأل سيادتك.

قال بهاء وهو يوقع بعض الأوراق بلهجة تحمل بعض السخرية:

- المفروض أنت اللي تسأل سيادتي... حلو... هو أنت كنت تعرف، أن المدام -لا مؤاخذة- كانت مصاحبه واحد؟
- لا ما أعرفش.

كان هادئا تماما وردوده كلها مقتضبة، وهو يجلس مرتديا جلبابا أبيضا ضيقا يبدو نظيفا ماعدا بعض الأتربة علىٰ كتف الجلباب والبعض مكان الجلوس علىٰ الأرض، يرتدي حذاءً أسودا لامع

يحمل أيضا بعض الأتربة من الطريق، لكن كان في عينه نظره واثقه من نفسه، وكان قد انتبه لنبرة السخرية من الضابط أثناء الحديث عن زوجته وعشيقها، لكنه لم يهتم، وكأنه لم يسمع شيئا، بل كان يتحدث بمنتهىٰ الهدوء والثقة، فتابع بهاء:

- قلت في التحقيق، أن أنت روحت يوم بدري من محلك. مالقيتهاش في البيت صح؟
- أيوة صح.
- ما بلغتش ليه؟
- كان لازم يعدي ٤٨ ساعة سعادتك قبل ما أبلغ.
- أنت عارف القانون كويس.
- يا باشا مافيش فيلم عربي مافيهوش الكلمة دي.
- طيب بعد ما عدىٰ ٤٨ ساعة، برده ما بلغتش غير لما قال لك المخبر.
- قلت يمكن راحت عند قرايبها ولا حاجة.
- هي كانت متعودة علىٰ كده ولا ايه؟
- لا ما كانتش متعودة ولا حاجة.
- يعني أنت مش شايف أن رد فعلك غريب شوية، يعني مراتك -لا مؤاخذة- تنام مع راجل ثاني، ومشيت، ولا هربت علىٰ كلامك، وسابت البيت، وأنت مكنتش تعرف أنها تعرف رجالة -وأصر علىٰ التشديد علىٰ كلمة رجالة- فنظر إليه الجزار بنظرة غضب سريعا ما تلاشت.

لكن بهاء لاحظ تلك النظرة فأصر علىٰ الاستمرار في التلاعب به، وأكمل وهو يسأله:

- هو -لا مؤاخذة- العلاقة بينكم كانت كويسة؟
- آه كويسة.
- أنت عارف أنا قصدي ايه طبعا.
- أيوة عارف وكانت كويسة.

فترك بهاء القلم وألقاه علىٰ المكتب وهو يرفع يده كأنه مندهش:

- الله، أما النسوان دول برده، مفيش حاجة ترضيهم أبدا، يعني أنت تمام معها، تبص بره ليه بقىٰ؟
- «لما تلاقيها يبقىٰ اسألوها سيادتك». قال الجزار بنفس الهدوء. فنظر إليه «بهاء» نظرة تحدي، ثم عاد فأمسك القلم مرة أخرىٰ وهو يقول في صرامة:
- «ماشي... لو أنت عايز تمشيها كده معايا... ماشي... بس أنت تعرف أن أنت المشتبه الوحيد اللي في القضية؟». فسأله الجزار:
- سعادتك أنهي قضية يا باشا؟ ومشتبه ايه؟ ده أنا اللي مبلغ أن مراتي مختفية.
- اتنين يختفوا في نفس الوقت، وكانوا علىٰ علاقة ببعض، وأنت جوز الست، تبقىٰ المشتبه الوحيد اللي في القضية

وهتفضل محبوس علىٰ ذمة القضية، لحد ما واحد فيهم يظهر، أو الاثنين يظهروا.

ثم تابع بصوت منخفض وهو ينظر إلىٰ الأوراق أمامه متظاهرا بالانشغال:

- أو جثثهم حتىٰ.

نظر إليه الجزار نظرة أخرىٰ، تحمل بعض السخرية، بعد أن ذكر بهاء الجثث، لكن بهاء لاحظ تلك النظرة أيضا بطرف عينه، قبل أن يسأل الجزار بهدوء مرة أخرىٰ:

- سيادتك هتقعدوا تدوروا عليها قد ايه يعني؟

- «والله طول ما هما مختفيين، احنا بندور، وطول ما احنا بندور، أنت هتفضل معانا». ثم نظر إليه مباشرة وهو يقول في حدة:

- أنا في إيدي إن أنا أحبسك علىٰ ذمة القضية دي لمدة سنتين، أو زي ما قلت لك قبل كده لحد ما حد فيهم يظهر، أو حد من الجثث، السنتين دول هيبقوا من غير حكم، وممكن برده أخرجك من المكتب ده علىٰ بيتك، وتروح لحد ما ندور براحتنا.

ثم رفع يديه الاثنين أمامه في وجه الجزار وهو يتابع:

- «ده في إيدي، وده في إيدي، أنا هنا ربنا بتاع القانون، أنا اللي بقول القانون يمشي يمين، ولا القانون يمشي شمال، أنا أقدر أخليك تروح بيتك دلوقت، وترجع شغلك عادي، و أقدر أخليك في مكان، محدش أصلا يعرف أن فيه بني آدمين، ولا حد يعرف يوصل لك». ثم أشعل سيجارة وأخذ ينفث دخانها باستمتاع، تاركا «إمام» ليفكر فيما قاله، ثم استدرك:

- «بص يا ابني، أنت هتخرج من هنا وأنا مصدقك، أيا كان اللي أنت عملته، أو اللي أنت ما عملتوش، أنا هعرف، ولازم أعرفه، وأصدقه، لو صدقتك... تروح بيتك، ولو فضلت تكذب عليا... معانا سنتين نقعد نتكلم فيهم براحتنا».

ثم أمسك بقلمه مرة أخرىٰ وتابع التوقيع علىٰ الأوراق. وبعد لحظات من الصمت، شعر «بهاء» إنه قد وصل لمبتغاه، إلا أن الجزار أجاب بهدوء مرة أخرىٰ:

- والله يا باشا أنا معنديش قضية ولا حاجة، أنا مراتي كانت بتخوني مع واحد، وهربوا مع بعض، أنا هنا اللي مظلوم في القضية، أنا مش متهم، أنا معرفش حاجة عنهم، ولو لقيتهم اسألوهم.

سأله بهاء في سخرية:

- أنت شكلك بتتفرج فعلا علىٰ أفلام كثير، أو أنت بقىٰ مذاكر قانون من ورايا وأنا ما أعرفش».



يقول له الجزار بمنتهىٰ الصدق:

- «لا مش مذاكر قانون والله ولا حاجة، أنا بتفرج علىٰ أفلام كتير فعلا».

- أكيد برده شفت في الأفلام كان في ساعات الضابط يبقىٰ عايز يعرف الحقيقة عشان يرضي فضوله بس، هو بيبقىٰ مراهن علىٰ حاجة في دماغه، وممكن يسيب المجرم يخرج، أو المتهم، أو المشتبه فيه، أي حاجة زي ما تسميها سميها.

- أيوة يا باشا بتحصل برده، بس أنا ما أعرفش سيادتك من أنهي نوع من الضباط.

- بص يا «إمام» أنت هتقول لي هما فين، أو أنت عملت فيهم ايه، وهنروح نجيبهم. لحد دلوقت مفيش حد مقدم بلاغ فيك، أنت مشتبه فيه بس، هنروح نجيبهم ولو هما وجهوا لك تهمة، ساعتها هتبقىٰ قضيه عليك، لكن لو اتنازلوا عشان الفضيحة مثلا -ودي بتحصل كتير علىٰ فكرة- هنا والموضوع خالص. يبقىٰ أنت تخرج برده بالسلامة علىٰ بيتك، يعني هما اثنين عشاق وهربوا مع بعض، وأنت هتطلق المرة وخلاص، الموضوع انتهىٰ علىٰ كده، من غير ما نخش في حوارات، ودي حاجة برده أنا ممكن اخلصها لك معهم وأجبرهم أنهم ما يقدموش بلاغ ... أنت دماغك نضيفة

وراسي، وأنا بيعجبني الناس دي، أنت عارف هما فين، وأنا عارف أن أنت عارف هما فين، لكن أنت متأكد أن احنا مش هنجيبهم... صح؟

لم يكن الجزار ينظر إلىٰ العميد بهاء طوال المحادثة، بل كان ينظر أمامه شاردا، ولكنه بعد كلام «بهاء» نظر إلىٰ الأرض للحظات، وشبك يديه ببعضهما، ثم رفع وجهه تجاه «بهاء» ونظر إليه متمليا في وجهه يحاول كشف أغواره، ثم تنهد مجيبا:

- اللي تقوله كله صح يا باشا.
- طيب ايه رأيك لو أنا اديتك كلمة، أن احنا هنجيبهم وأنا بنفسي اتأكد لك أن هم مش هيعملوا بلاغ.

فكر الجزارقليلا، وعاد للنظر إلىٰ الأرض وهو ما زال يفكر ثم سأل:

- طب سيادتك هو احنا دلوقتي في محضر رسمي؟
- لا يا «إمام» احنا بندردش بس مع بعض، المحضر اتعمل خلاص، لما الضباط قعدوا معاك وسألوك الأسئلة اللي أنا سألتها لك برده، وبعدين المحضر لازم يبقىٰ فيه كاتب محضر، وكلامك كله بيتسجل، وبعدين بتمضي علىٰ كل كلمة أنت قلتها، أنت شايف معايا ورق ولا بكتب كلامك؟

وأشار بيديه في أنحاء المكتب، تأكيدا علىٰ كلامه، ثم واصل:

- يا «إمام» احنا بندردش مع بعض، قضيتك شغلتني، وحابب أعرف آخرها، أنا من الضباط اللي بتشغل دماغها، بحب أوصل للنتائج قبل حتىٰ ما يكون في دليل عليها.

ثم رفع يده أمامه مشيرا بإصبعه في علامة تحذيرية، وهو يقول في صدق:

- «وما بحبش الخيانة... أي خيانة ما بحبهاش، أنا عايز اقول لك، أن أنت يمكن في فيلم فوته من الأفلام اللي أنت بتشوفها، أنت لو دخلت بيتك ولقيت مراتك مع عشيقها وذبحتهم... ها... ذبحتهم بقولك ...»

وهو يمرر إصبعه علىٰ رقبته في إشارة الذبح، ثم واصل ...

- انت مش ها يتحكم عليك بحاجة يا جدع، ده أنت لو قتلتهم أحسن ما تخطفهم، لأن أنت لو قتلتهم هتبقىٰ قضية شرف، مش هتحتاج غير كام شاهد، وأكيد دول هتعرف تجيبهم، أو يا عم أنا أجيبهم لك لو أنت عايز، وهتطلع منها بمنتهىٰ السهولة.

أطلق «إمام» تنهيدة طويلة، ثم وضع يده علىٰ المكتب ليقول:

- بص يا باشا، والله أنا هتكلم معاك -زي ما سيادتك قلت- بطريقة ودية، عشان أنا مصدقك -أنا آسف يعني- أنا

مصدقك عشان أنا واثق في دماغي، وواثق أن أنا باعرف أحكم علىٰ الناس، مش عشان حاجة تاني.

تراجع بهاء في كرسيه وهو يبتسم ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- طيب نطلب الشاي بقىٰ.

بعدما أحضر العسكري الشاي، وبعد أن انتهيا من شرب الشاي دون حديث بينهما، حاول «بهاء» أن يبدو منشغلا، وهو يكلف العسكري بعمل بعض الأشياء، وتظاهر بأن «الجزار» غير موجود بالمرة، حتىٰ بدأ «إمام» بالفعل في حديثه بعد خروج العسكري.

- بص يا باشا أنتم مش هتلاقوهم.

- زي ما أنا توقعت قتلتهم، طب هي فين الجثث؟

- لا ما أنتم كمان مش هتلاقوها يا باشا.

- إزاي بقىٰ عملت ايه؟ قل لي.

هذه المرة لم ينظر «إمام» بعيدا مثلما اعتاد منذ بداية الجلسة، بل نظر مباشرة إلىٰ بهاء وهو يضع يده اليسرىٰ علىٰ المكتب مفرودة ومشدودة ثم بدأ في الكلام:

- بص يا باشا... الست دي عمري ما قصرت معها في حاجة، من يوم جوازنا لحد آخر يوم في عمرها، حتىٰ الواجبات الزوجية اللي سيادتك كنت بتتريق عليها، أنا كنت بعملها

معها بما يرضي الله، رغم أن ربنا ما كتبلناش خلفه، وده كان يمكن سبب اللي أنا كنت بعمل الموضوع ده باستمرار، وما كنتش بقطعه من يوم الجواز... احنا من غير أولاد آه، بس أنا كويس الحمد لله صحتي كويسة... لكن دي حكمة ربنا، وأنا راجل مؤمن، وكنت مراعي ربنا فيها رغم أن أنا في حالتي دي، كنت المفروض أتجوز غيرها، كل الرجالة بتعمل كده - برده في الأفلام يا باشا- مش عيب، لكن أنا الموضوع ده مش في دماغي، بعدين دي حاجة في إيد ربنا سبحانه وتعالىٰ، جات في إيده... ما جاتش برده في إيده، وأنا راجل مؤمن، أي نعم أنا مبصليش علىٰ طول، لكن أنا مؤمن وربنا قال أن المؤمنين هيخشوا الجنة.

- قتلتهم ازاي طيب؟
- صفيت دمهم يا باشا... صفيت دمهم نقطة نقطة، زي ما بصفي دم الذبيحة، وقطعتهم حتت ولفيت بهم مصر كلها، وأكلتهم لكلاب مصر كلها.
- «قطعتهم وأكلتهم للكلاب لا دي ما جاتش في الأفلام ده قبل كده يا إمام». قال بهاء مندهشا.
- زي ما بأقول لك والله، عشان كده أنا بقول لك مش هتلاقي حاجة، ولا في أي حاجة عليا، غير إيه؟ أن أنا ما بلغتش؟ مش هيعمل لي حاجة يعني، وبعدين أنتم أول ما عرفتم أن الراجل اختفىٰ بعتوا لي ثاني يوم، فانغا رحت مبلغ فأنا متأخرتش

يعني، أنا ما عليش حاجة يا باشا، أنا عارف أن أنا معنديش حاجة.

- زي ما قلت لك أنت دماغك نضيفة، وبتفكر قدام، بالنسبة لك عادي بتذبح كل يوم.

- «لا الذبح كل يوم أربعاء يا باشا». قال «إمام» بلهجة صادقة. فضحك «بهاء» بصوت عال، وهو يتأمل في «إمام» بتمعن. ثم أشعل سيجارة، وتراجع في كرسيه للخلف، وهو يفكر، ثم تقدم، بكرسيه مرة أخرىٰ وهو يسأل «إمام» في جدية:

- أنت بقالك قد ايه شغال جزار؟

- أنا شغال من وأنا عندي ١٤ سنة يا باشا، وأنا حبيت المهنة دي، وأديت فيها بضمير، عشان كده ربنا كرمني فيها، كنت صبي... بقيت صاحب محل، ما بروحش البيت غير لما أكون بنام علىٰ روحي، اللحمة لها مواعيدها وبتتباع في مواعيد، مش طول اليوم، لكن أنا كانت سعادتي في المحل وسط اللحمة، في وسط الغنم، دي الحاجة اللي بتديني الروح والنفس، بس أحلىٰ نفس أخذته في حياتي، يوم ما ذبحتهم، شفتهم بينزفوا قدامي، اليوم ده أنا حسيت أن أنا بقيت إنسان ثاني، وكل حاجة فيا اتغيرت، قلبي مات، مش بخاف من حاجة، ولا بقلق من حاجة، عارف سيادتك... لو قالوا لي أن

أنا جاي أقعد مع سيادتك قبل الحوار ده؟ أنا كنت ممكن أترعب جامد، رغم أن أنا مكنتش هبقىٰ عامل حاجة غلط ساعتها، بس كنت هبقىٰ خائف من سيادتك، دلوقت اللي قاعد قدامك ده -ورغم كل الاحترام والتقدير لسيادتك- وأنت راجل رجولة وأنا قدرتك، بس أنا آسف يعني أنا مش خايف منك، اللي خلاني أتكلم معك كده بصراحة، رغم أنك ممكن دلوقت تحبسني، بس زي ما أنت ما بتصدق الناس، أنا برده صدقتك ساعة لما قلت لي أن أنت كمان ما بتحبش الخيانة، وعرفت أن أنت هاتفهمني، لأن الخيانة وحشة، لما تطعن راجل وراء ظهره وحشة، مش رجولة أبدا، والرجولة هنا مش عشان هي ست، لا... ست يعني تخلص لجوزها، لو كنت أنا مقصر معها في الواجبات الزوجية، كنت أنا طلقتها من نفسي، لو هي حتىٰ اشتكت يوم واحد أنا كنت طلقتها، لو هي طلبت الطلاق بنفسها أنا كنت طلقتها، أنا راجل حر، وما قعدش مع واحده مش عايزاني، ولا مؤاخذة في الكلمة، أنا أعرف أتجوز تاني يوم، أنا راجل مؤمن، أنا كنت بوقف أي أحد يتكلم عليها كلمة واحدة عشان خاطر الخلفة، مش عشان أنا بحبها ولا حاجة، عشان هي دي الأصول، الست بتاعتي لازم أدافع عنها، وبيني وبينها بقىٰ، أقول لها الصح ايه والغلط ايه، أنا عمري ما قصرت معاها، وأنا ما كنتش هاقتلها، حقيقي ما كنتش هاقتلها، والفكرة مجتش في دماغي

غير لما سمعتها وهي بتتكلم عليا... كلام أنا عمري ما تخيلت أن أنا أسمعه منها، لقيت حد ثاني خالص هو اللي بيتكلم، عمري ما تخيلت أبدا أن هي تعرف حتىٰ تقول الكلام ده أساسا، وقتها بس أخذت القرار طلعت السكينة بتاعتي، والجزارة علمتني امتىٰ أذبح الذبيحة وأخلصها عشان ما تتعذبش، زي ما ربنا قال، وأنا رجل مؤمن، وامتىٰ تخلي الذبيحة تتعذب لحد ما تموت، كل حاجة كنت بعملها عشان الحيوان ما يتعذبش قبل ما يموت، عملت عكسها معهم، صفيت دمهم بالراحة وهما مربوطين في السرير، لحد ما بقاش الدم اللي مغرق السرير عارفين ده دم مين وده دم مين، بس يا باشا... أنا قلت لك كده كل اللي عندي، بس الصراحة لو سيادتك كنت بتسجل لي، أو كنت هتثبت عليا أي حاجة، أنا باقول لك ما فيش أي حاجة تثبت عليا أن أنا اتكلمت معاك، عشان أنا صدقتك زي ما قلت لك، مش هتلاقي جثث يبقىٰ مفيش قضية، وأنا معك يا باشا للآخر.

صمت «بهاء تماما حتىٰ انتهىٰ «إمام» من حديثه، وهو يراقب حركات جسده، وهو يقوم بالتمثيل لا شعوريا بوصف ما حدث أثناء حديثه، كان الغضب يبدو واضحا، جليا علىٰ وجهه وانفعالاته، حتىٰ أن «بهاء» شعر بتعاطف حقيقي معه، رغم طريقة القتل المؤلمة والعنيفة، وأيضا ما تم بعد القتل من قطع للجثث.

- تعرف يا «إمام»... أنا طول خدمتي، شفت جرائم قتل بجميع أنواعها، معدتش عليا غير جريمة واحدة بس، شبه اللي أنت عملتها دي، واحد قطع جثة واحد، بس عارف جبناه ازاي؟ من العظم. هو الحاجة الوحيده اللي مش هتعرف تتصرف فيها، حتىٰ لو دفنتهم هيطلع وهيجي. عملت بقىٰ ايه في العظم؟

ضحك «إمام» بسخرية، وهو يقول:

- شكله مكنش بيتفرج علىٰ أفلام زيي يا باشا، الموضوع سهل، العظم فرمته، طحنته، خليته عامل زي البودرة، ورميته في الميه، بلاش يا باشا، أنا عارف أنا بعمل ايه كويس، مش هتلاقي حاجة يا باشا زي ما قلت لسيادتك، اتفرجت علىٰ أفلام كثيرة، أنا كنت ممكن أخليها قضية زنا، وأحبسها وأحبسه وأبقىٰ ضحية، بس أنا بدافع عن شرفي، دافعت عن شرفي وخذت تاري، ضميري مستريح واللي مريحني اكثر أن أنا مظلمتهاش، وكنت براعي ربنا فيها عشان أنا راجل مؤمن.

علت نظرة إعجاب واضحة علىٰ وجه «بهاء»، وصمت قليلا كأنه يفكر في شيء ما ثم قال:

- باقول لك ايه يا إمام.
- أوامر سيادتك.

- تعرف كده كده أن أنت مش هتعرف تشتغل جزار ثاني بعد القضية دي؟

- ليه يا باشا؟ أنا ما أعرفش شغلانة غيرها، هو حصل ايه يعني؟ وبعدين أنا معنديش حاجة وأنا علىٰ كلمة سيادتك، ولا سيادتك هترجع في كلامك ولا ايه؟

- لا أنا مش هرجع في كلامي، لكن أنا عايزك في حاجة ثاني.

- تأمرني سيادتك.

- أنا عايزك تشتغل معايا.

- اشتغل معك ايه يا باشا؟ مخبر؟

- لا تشتغل جزار برده.

- جزار فين يا باشا؟ في الداخلية يعني؟

- طب بص، أنت هتروح دلوقت، وبعدين هنقعد مع بعض نتكلم في الشغل، بس مش ها تحكي مع حد في الموضوع ده ثاني... حتىٰ أنا نفسي ما تفتحش معايا الموضوع ده ثاني.

ثم أمسك قلمه وهو ينظر إلىٰ شعار وزارة الداخلية بشرود، وهو يكمل:

- الحركة اللي جاية أنا طالع، ماشي يا إمام، هيدوني رتبه ويقعدوني، فأنا بفتح مشروع كده وعايز واحد زيك معايا... فكر وخذ كارتي وأنا هكلمك.

ثم ضغط علىٰ زر الاستدعاء الداخلي وقال:

- تعال يا حسين روح الراجل ده، واستمر في البحث عن الاثنين الهاربين، لو في أي جديد بلغني فورا.

ثم أشار بيده لإمام، بعلامة إنه صدق في كلامه.

****



الشيخ مبروك

- «لو سمحت يا بني. عايز أقابل الأستاذ مالك في موضوع مهم». قال الشيخ مبروك وهو يقف متوترا أمام مدخل أحد المحلات التابعة لمالك ووالده في منطقة الأزهر المزدحمة، نظر إليه العامل بتوجس، وهو يتأمل ملابسة البدوية البسيطة، والوشاح الذي يغطي معظم ملامح وجهه، بالإضافة إلىٰ الذقن البيضاء الكبيرة غير المهذبة، وتحير في أمره، من شك في إنه إما شخص بسيط يطلب مساعدة من الأستاذ مالك، أو هو شخص يعطي -رغم بساطته- أكثر مما يطلب، وعندما قرر العامل صرفه لم يتمكن من التفوه بكلمة، بل وجد نفسه يتراجع ويلطف لسانه، وهو يقول بصوت خجول كأنه يعتذر عما فكر فيه سابقا «أنت قريبه يا حاج؟»

- هو موجود؟ سأل «مبروك» بتوتر.

- لا والله يا حاج مش موجود، هو في فرع العتبة النهاردة.

ودون كلمة أخرىٰ هم مبروك بالذهاب، إلا أن العامل استوقفه بإشارة رجاء وهو يسأل:

- «لو عايزه في حاجة ضرورية ممكن اتصل بيه». وانتظر العامل متلهفا لموافقة مبروك.

رغم أنه كان من غير الطبيعي أن يتصل أحد العمال العاديين بمالك، وخصوصا بوالده، حيث كانت التعليمات ألا يتصل بهم أحد سوىٰ مدير المحل فقط، وفي حالات الطوارئ فقط.

- «ينفع تكلمه؟» قال مبروك باقتضاب.

- «طبعا يا حاج ثواني هجيبلك كرسي لحد ما اتصل بيه». ودون رد من مبروك دخل العامل للمحل مسرعا وعاد حاملا لكرسي وهو يضع الهاتف علىٰ اذنه منتظرا رد، وعندما أجاب مالك هاتفه مندهشا من مكالمة أحد العمال العاديين في محله، استدركه العامل سريعا

- «في حد من البلد عايزك يا أ. مالك»

- «مين؟» تلعثم العامل قليلا، فهو لم يسأل الزائر حتىٰ عن اسمه، فوضع يده علىٰ الهاتف وسأل مبروك هامسا «هو حضرتك اسمك ايه؟»

- قول له مبروك.

- وعندما أجاب العامل الحاج مبروك ياباشا، صمت «مالك» قليلا ثم أجاب العامل:

- طيب خلي بالك منه، وهاتله حاجة يشربها، أو حتىٰ غدا لحد ماجي، ودخله المكتب، ومتخليش العمال تحكي معاه.

وبعد دقائق قليلة، وصل مالك للمحل، فوجد جميع العمال بالمحل، وحتىٰ بعض من الزبائن، يلتفون حول الكرسي الذي يجلس عليه مبروك، والذي رفض الدخول للمكتب كما طلب مالك، وعندما لمح العامل الذي تحدث لمالك في الهاتف سيارته تركن أمام المحل، ذهب إليه مسرعا، وانفض باقي العمال فجأة من حول مبروك عندما لمحو سيارة مالك.

- انا آسف والله يا أستاذ مالك، مرضيش يدخل المكتب، وصمم يفضل قاعد هنا مستنيك، ده حتىٰ مرضيش يشرب أي حاجة.

- واية اللمة اللي حواليه دي؟

أجاب العامل بحماس شديد:

- الراجل ده فيه حاجة لله والله يا أستاذ مالك، واحد صاحبنا بينكشه، بيقول له «أنتم أهل الخير، والصحة تمام معاكم، اديني وصفة عشان أعرف أؤدي مع المدام كويس، بيهزر معاه عادي، لكن الشيخ مبروك قال له، لو اكتفيت بواحدة مش هتحتاج أي وصفات، وفعلا زميلنا ده طلع متجوز علىٰ مراته ومحدش يعرف».

تركه مالك دون تعليق، وتوجه إلىٰ الشيخ مبروك، وحياه تحية طيبة، وطلب منه الذهاب إلىٰ المكتب للحديث، ولكن الشيخ مبروك أصر

أن يذهبا إلىٰ مكان آخر، حيث بعض الهدوء حيث يشعره الزحام بالتوتر.

وافق مالك دون تذمر، وعندما استقروا في ذلك المكان الذي يطل علىٰ النيل ويبدو شبه فارغا، كان مظهرهم متناقض تماما، شاب أسمر وسيم قوي البنيان، يرتدي أحدث وافخم الملابس، يجالس شيخا عجوزا يملأه الشيب، ويرتدي ملابسا بدوية فضفاضة، يجلسان في إحدىٰ أرقىٰ الأماكن في وسط البلد.

- اتفضل يا شيخ، مشوار طويل من الواحة لحد هنا، أكيد في حاجة مهمة.

شرد مبروك بنظره طويلا تجاه أحد المباني الشاهقة التي تجاورهم، واحترم مالك شروده فلم يعد سؤاله... وبعد لحظات التفت إليه مبروك وهو يركز بصره في أعين مالك، وهو يقول بلهجة قوية واثقة:

- أنا عارف صاحبك اتقتل إزاي.

- عارف؟ إزاي؟

- «بالأصح أقول لك،... أنا عارف مين اللي قتله». دارت أفكار كثيرة في عقل مالك مع الكثير من الشك والحيرة ومليون سؤال، فخرج منهم واحد.

- مين؟

- أسـمه «إمـام الجـزار»، الجـزار ده معـرفش اسـم عيلتـه ولا شهرته.
- أنت تعرفه؟
- «شـفتة مـرة واحـدة بـس، بـس دلـوقتي أنـا متأكـد إنـه هـو اللـي قتـل صـاحبك، ومـريم الله يرحمهـا، والشـاب اللـي قـبلهم... هـو اللـي ورا كـل حاجـة». بغضـب مكتـوم كـان يتحـدث، ولاحـظ مالـك تلـك الدمعـة التـي كـادت تهـرب مـن عينيـه عنـد ذكـر اسـم مـريم، والتـي مـا لبثـت أن تلاشـت في لحظة.
- شفته فين؟ وعرفت منين إنه هو القاتل؟ ومريم دي...

قاطعة مبروك بإشارة من يده أن ينتظر...

- أنا عارف أن فيه أسئلة كتير في دماغـك، وأنـا مـش معايـا كـل الإجابات، عشان كده جيتلـك، أنـا هحكـي لـك اللـي أعرفـه، وبعدين ربنا يقدرنا نوصل للحقيقة مع بعض.
- حقيقة إيه؟ مش بتقول الجزار ده هو اللـي قـتلهم؟ يـالا نطلـع نبلغ فورا.
- الصبر يا ولدي، سيبني أقـول لـك اللـي عنـدي وبعـدين نفكـر هنعمل ايه.

بنفاذ صبر وافق مالك.

- اتفضل

- من تلات سنين لما حصلت أول جريمة هناك، كانت حاجة غريبة جدا علينا، مش عشان القتل في حد ذاته، الشيطان ليه بدل الايد ألف، لكن الجريمة دي أثارت بلبلة كبيرة في الواحة، لطريقة القتل نفسها، واللي زود الموضوع أكتر، وده اللي مش قادر أفهمه، أصحاب ومديرين الفنادق اللي حوالين الواحة والمقبرة، اللي أجبروا موظفيهم يربطوا بين الجريمة وبين لعنة الملكة، اللي كانت مكتوبة علىٰ المقبرة، وكأنها حقيقة مسلمة أن اللي قتل الشاب هي اللعنة، حتىٰ أنا استغربت من رد فعل الشرطة، هما ساعتها طبعا ما جابوش سيرة اللعنة ولا الملكة، لكن الموضوع خلص بسرعة من غير ما يوصلوا لحاجة، واتقفلت القضية علىٰ كده.
- وهو فيه لعنة فعلا؟
- يا ابني أهل الواحة ناس بسطاء، والحكاوي مع أدوار الشاي الأخضر، هي اللي بتعدي عليهم ساعتين الليل قبل ما يناموا، وكمان الجن مذكور في القرآن... بعض الناس كانت مصدقة فعلا، والبعض مكنش مصدق، أو مش عايز يصدق، لأن الخوف أن ده يطلع حقيقة، كان ممكن يخلي الناس ماتطلعش من بيوتها أساسا... المهم أن اللعنة محدش عرف يثبتها، ولا ينفيها، لحد ما الناس انشغلت ونسيوا الولد اللي راح والدنيا مشيت.

- طب وأنت مصدق؟

- أنا رجل مؤمن بالله، والموضوع ده مكنتش بفكر فيه أكتر من اللازم.

- بتقول اللعنة كانت مكتوبة علىٰ الجدار بتاع المقبرة؟

- القصة دي مش مكتوبة في كتب، ولكنها تداولت باللسان من جيل لجيل، لما الخواجات اكتشفوا المقبرة، قالوا للناس أن ده اللي مكتوب علىٰ الحجر اللي في مدخل المقبرة، وبعدين مع الوقت الكتابات كلها أصبحت مبهمة، ومفيش ولا رسمة كاملة، حتىٰ وزارة الآثار، بتيجي مرة كل سنة يعملوا شوية ترميم كده ويمشوا، ولا كأنهم جم من أساسه، لكن الكلام اتمسح وفضلت القصة تتداول بين الناس، وبعض المهندسين اللي كانوا بييجوا من مصر، قالوا أن الكلام ده مش سليم، وأن الخواجات قالوا كده عشان الناس تخاف وتبعد عن المكان.

- طب والقصة نفسها بتقول ايه؟

- القصة بتقول أن كان في ملك فرعوني عجبته الواحة لما شافها في غزوة من الغزوات، وبنىٰ قصر ومعبد فيها واستقر فيها لفترة، وكان متجوز ملكة محدش كان بيحبها، لأنها كانت متسلطة وظالمة، ولما مات الملك، ورث ابنه وكان صغير،

فكانت الملكة هي اللي بتدير الواحة من نفسها، وكان فيه في المعبد تمثال لإله فرعوني، كانت الملكة بتروح له كل يوم تصلي، رغم أن المعبد كان بعيد والمشي في الصحراء متعب، لكنها كانت بتروح، وبتقول إنه بيكلمها يوميا، وهو صاحب كل قرارات المملكة، وهي مجرد لسانه اللي بيكلم الناس، وفي يوم جالها اثنين متخاصمين في قضية، واحد ظالم والتاني مظلوم، وراحت الملكة للمعبد، وكلمت التمثال، ورجعت حكمت فعلا علىٰ الظالم ودخل الحبس، وأنصفت المظلوم، الظالم كان نحات، وهو في سجنه نحت تمثال شبيه تمثال الملكة بأدق تفاصيله، حتىٰ إنه طلب من سجانه بعض الصبغات عشان يلونه، وبالفعل لما خلصه بعتة للملكة مع رسالة بتقول أن الإله ظهر له في حلم وطلب منه ينحت تمثال مصغر منه ملون كدليل علىٰ رضا الإله علىٰ الملكة، ولما شافت الملكة التمثال وجماله ودقته وألوانه الزاهية، صدقت قصة النحات، وأفرجت عنه، ووضعت التمثال في غرفتها الخاصة، في صندوق مطعم بأغلىٰ الجواهر، وقربت منها النحات الظالم، اللي كان كل ما يبقىٰ عايز حاجة... يقول لها الإله ظهر لي في الحلم وقال لي كذا... واشتهر النحات بقربة من الملكة، وأصبح أي حد عنده طلب من الملكة، يروح له الأول، وكان النحات بيعمل تماثيل تشبه التمثال الأصلي كهدية للملكة عشان توافق علىٰ طلباتهم، لكن أحيانا،

النحـات كـان بيعمـل بعـض الغلطـات الصـغيرة في التمثـال، ومتأكد أن الملكة هتكتشف الغلطات دي، وكان قايـل لهـا أن في حلم من الأحلام، أن الإله لو تمثاله جه فيـه غلطـات يبقـىٰ صـاحبه ملعـون لازم يتقتـل بفصـل جسـمه نصـفين، وبالفعـل كان النحات لو عايز يتخلص من أي حد، كان بيعمل له تمثال فيـه غلطـات، تقـوم الملكـة قـاتلاه بالطريقـة دي. ومـن هنـا طلعت لعنة التمثال.

- «أحسن حاجة في ملوك زمـان دول، أي حـد بيقـول أي حاجـة كانوا بيصدقوا»، قال مالك شاردا، ثم استطرد سائلا:

- لكن أنت بتقول أن اللي قتل سعيد واحد اسمه إمام. صح؟

- أيوة، لكن له واحد يساعده -للأسف- مـن عنـدنا في الواحـة، اسـمه الشـيخ رجـب، والحفـرة كانـت في أرضـه، وهـو اللـي عملهـا، وحـط التمثـال بتعليمـات مـن الجـزار، أنـا عرفـت موضوع الحفرة ده من مريم الله يرحمها، مريم دي البنت اللي اتخطفت من سنتين -الله يرحمها.

- أنت كنت تعرفها كويس؟

سرح مبروك بعيدا للحظات وكأنه يتذكر شيئا حزينا.

- أنـا عرفتهـا فـترة قصـيرة جـدا، كلهـا كـام يـوم كـل سـنة، لكـن حسـيت منهـا بحنيـة عمـري مـا حسـيتها مـع بنـاتي نفسـهم،

أول مـا جـت رحلتهـا أول مـرة، ومـن أول يـوم، جـت عنـدي بتتفـرج ع الـزرع زي زمايلهـا، مبقـتش تسـيبني غيـر لمـا أنـا اللـي أقـول لهـا ارجعـي الفنـدق، عشـان عـايز أنـام، كانـت زي المـلاك، ليهـا زرعـة عنـدىٰ في الجنينـة مسـميها باسـمها، لأنهـا هـي اللـي حطـت بـذرتها، لمـا طلبـت أنهـا تـتعلم الزراعـة، كانـت يـا عينـي مـن غيـر أب، وأنـا مـن غيـر حـد، الكـام يـوم بتـوع رحلتهـا كـل سـنة، خلـتهم جنـة بالنسـبة لـي، مـن طيبتهـا وحنيتهـا وبرائتهـا ولا طفلـة عنـدها ٣ سـنين، كانـت بتيجـي كـل سـنة، وكنـت ببقـىٰ مسـتني الأسـبوع بتاعهـا مـن السـنة للسـنة، لحـد مـا جـت يـوم وقالـت لـي أنهـا شـافت الحفـرة وشـافت التمثـال، بـس خافـت تعمـل حاجـة وجـت تسـألني، وطبعـا أنـا طلبـت منهـا مـا تـدخلش تـاني، عشـان خفـت عليهـا، لكـن رغـم كـل مميزاتهـا كانـت عنـدها عيـوب، كانـت فضـولية لأقصـىٰ درجـة، عـايزة تشـوف كـل حاجـة، وتجـرب كـل حاجة، وكمان كانت عنيدة جدا...

صمت مبروك للحظات والتأثر الشديد يبدو واضحا عليه، فتنهد ثم تابع حديثه:

— وتاني يوم مجتش، وقلقت عليها، لحد ما زمايلها جم يسألوني عنها، بعد ما قالت لهم أنها داخلة تتكلم في التليفون ومن ساعتها مرجعتش.

لاحظ مالك تأثر مبروك الشديد حتىٰ أن يده بدأت في الارتعاش ولمعت عيناه بدمعة يقاتلها كي لا تهرب منه، سكت مبروك للحظات أخرىٰ يتمالك فيها مشاعره ثم أكمل.

- من ساعتها، وأنا كل يوم أدخل الصحراء، أدور عليها، وأصبر نفسي بأنها تايهة، ومعرفتش ترجع ولا تتصل بحد، أو تكون راحت عند الحفرة اللي لقيتها ووقعت فيها... وعدت الأيام ومظهرتش مريم، حتىٰ الست والدتها، كانت تيجي كل فترة تقعد معايا، وندور عليها لكن مفيش جديد بيحصل، ومرت فترة والناس نسيت مريم، لكن الغريب أن محدش نسي الحادثة بتاع الولد اللي قبلها، كأن موضوع مريم مش مهم، عشان مش مربوط بالزفت اللعنة، اللي بيرددها أصحاب الفنادق وموظفيهم، لكن أنا كنت بتقطع من جوايا كل يوم بسببها، وحاسس إني السبب، لأني مقدرتش أمنعها من دخول الصحراء تاني، رغم أن والله هي قالت لي أنها مش هتدخل.
- وبعدين جت رحلة ورا رحلة، عدىٰ وقت طويل وأنا عيني تراقب كل اللي يدخل الصحراء، عقبال ما تدخل تكلم ناسك في الحتة بتاع الشبكة وترجع، وحتىٰ لو هتقعد لوحدك شوية، كبيرك تاخد ساعتين زمن، لكن مرة لاحظت شاب كان بيدخل الصبح، يرجع قبل الليل بحاجة بسيطة، دخل يومين وكرر نفس الحاجة، وفي التالت لقيته داخل بدري بردو، بس

كان معاه جاروف صغير، هنا اتأكدت إنه لقىٰ الحفرة، قمت داخل وراه وفضلت مراقبه، لقيته عامل علامات علىٰ الأرض زي دليل كده، يوصله لمكانها، لحد ما وصل الحفرة وابتدىٰ يحاول يطلع التمثال، رحت طالع عليه وزعقت فيه جامد، وفهمته أن دي أرضي، ومالوش إنه يحفر فيها، ولما سألني عن التمثال، قلت له ده مزيف، لأن في ناس جاية تصور حاجة عن الواحة والمقبرة وكده، معرفش فكرت في كده إزاي وقتها، بس كنت عايزه ينسىٰ الموضوع تماما، لأن الطمع كان ممكن يعمي عينيه، ويفكر إنه يسرقه بالعافية، بس الحمد لله، والولد رجع وهو خايب الأمل، ميعرفش أن انكتب له عمر جديد، بعد ما مشي فضلت قاعد جنب الحفرة مستني ومش عارف ايه اللي ها يحصل، بعدها سمعت صوت كلاب جاي ناحيتي، اتداريت شوية لحد ما جم عند الحفرة، وقعدوا يشمشموا وبعد حوالي ١٠ دقايق لقيت واحد طالع من وراهم ومعاه زي بندقية، خفت وكنت ها اهرب لكن لما لقيته لابس اللبس البدوي، طلعت له لقيته الشيخ رجب اللي قلت لك عليه. أول ما شافني، سألني:

- أنت اللي كنت تحفر هنا يا شيخ مبروك؟

ما جاوبتش وسألته وأنا الدم يغلي في عروقي:

- ايه الحفرة دي يا رجب وإيه التمثال ده. أنت اللي بتقتل الناس؟

احتار رجب وكأنه مش عارف يرد فقال لي تعالي نروح البيت نتكلم وأنا هفهمك كل حاجة.

- رحت البيت معاه، بصراحة خفت من البندقية اللي كانت معاه، وأول ما وصلنا بيته، لقيت واحد شكله غريب عن الواحة، أول مره أشوفه، شكله كان قاعد مستني، ولمحت شنطتين كبار محطوطين علىٰ الأرض، جوة شنطة فيهم، كان في حاجة زي جهاز كده لأنه كان موصله بالكهربا، زي ما يكون بيشحنه أو حاجة، لكن أول ما شافني شكله اتخض، وقام مفزوع وسأل الشيخ رجب مين ده؟ الشيخ رجب شاور له بعينه عشان يكلمه علىٰ جنب، وسمع منه الجزار اللي حصل وسأله كام سؤال سريع مسمعتش منهم حاجة، وأنا كل ده ساكت وكاظم غيظي بقدرة ربنا مش عارف إزاي، وبعدين طلب مني اقعد عشان نتكلم... واتكلمنا.

ارتشف مبروك رشفة ماء صغيرة ثم تابع:

- أنا أول حاجة، سألته عن مريم، أقسم لي أن هو ميعرفش عنها أي حاجة، وما سمعتش عنها أي حاجة، غير أن هي اتخطفت أو اختفت وهو عارف الكلام ده من الشيخ رجب نفسه، وأن البنات ممكن تهرب وتسيب أهلها عادي، لكنه اعترف لي بالجريمة الأولىٰ بمنتهىٰ الهدوء، وقال لي أن هو اللي قتل الشاب ولما سألته عن سبب القتل، وليه بالطريقه دي

بالذات، رفض أن هو يجاوبني تماما قمت عليت صوتي وهددتهم إني هبلغ البوليس، برده بمنتهىٰ الهدوء اللي في الدنيا، قال لي أن ما فيش أي إثبات علىٰ أي حاجة، وأن عقبال ما أرجع للبيت، مش هيبقىٰ في حفرة وهاتختفي من الوجود، مش هيبقىٰ ليها أي آثار، وتغيرت نبرة صوته من الهدوء للتهديد، تهديد مش لي أنا، أولا هددني أن الشاب اللي راح الحفرة هيتقتل، لأن هو مراقبه من أول ما اكتشف الحفرة، وعارف إنه النهارده كان جاي يحفر، وبعدين هددني ببناتي، ورجع ثاني بنبرة الهدوء، وطلب مني أن أنسىٰ كل اللي أنا شفته، حماية للناس اللي هو قال لي عليهم، وأن الموضوع هينتهي، والحفرة هتتقفل، ومفيش حاجة ثانيه هتحصل، وقام بعدها فاتح الشنطه الصغيره اللي قدامي، لقيت فيها أنواع مختلفة من السكاكين والسواطير ومسدس، أخذ المسدس وحطه في جيبه كأنه بيقول لي أن هو مابيهزرش... حسيت بالعجز مكنتش عارف أعمل ايه، سبتهم ومشيت وأنا دماغي بتلف، فضلت طول الليل سهران بفكر أعمل ايه، لحد ما طلع عليا الصبح، أول حاجة، لقيت الشاب اللي كان رايح يحفر جاي لي هو مبسوط، وبيقول لي أحد من الناس بتوع التصوير، ساب لي دي في الريسبشن، وفي إيده كانت صوره له هو ماشي في الصحراء، وشايل الجاروف، وكان بيسألني هم ازاي صوروني وأنه ما شافش

حد من طاقم التصوير، مشيتم والرسالة وصلتني، قمت دخلت الصحراء ثاني، أشوف الحفرة، حاولت أمشي علىٰ العلامات اللي الشاب كان عاملها، بس معظمها كانت اتمسحت بس في الآخر برده، عرفت أوصل وفعلا، لقيت الحفرة مردومة وكأن ما فيش أي حاجة حصلت من أساسه، ومن ساعتها وأنا كل يوم بدخل الصحراء عند مكان الحفرة، أتأكد أن مفيش حاجة حصلت ثاني لحد يوم ما حصلت حادثة سعيد.

سأله مالك وهو يحاول أن يستوعب كمية المعلومات والمفاجآت التي يسمعها باندهاش شديد:

- أنت بتقول إنك كنت كل يوم بتخش تتأكد من حفرة مردومة، امال عملوا كده امتىٰ؟

رد عليه مبروك وهو حزين:

- الحفرة... عملوا حفرة غيرها، في مكان ثاني، وكانوا بيحطوا أكل الكلاب هناك عشان تلفت نظر الضحية الجديدة، لما صاحبك مات... بطلت أدخل، بعد ما عرفت إني اتضحك عليا، وتأكدت كمان أنهم وراء كل الجرائم القديمة.
- طب هم يقتلوا ناس عشوائية ليه كده؟ وليه بالطريقة دي؟ يمكن يكونوا ليهم علاقة فعلا باللعنة؟

هز مبروك كتفه وكأنه لا يعرف أو يفهم وهو يجيب:

- والله أنا لحد كده، قلت لك اللي أنا أعرفه، وأنا جيت لك عشان أنا مش هسكت، لحد ما أوصل للجزار ده، ولو الحكومة معرفتش تاخد حق مريم والشباب اللي ضاع من غير ذنب، أنا هاخد حقهم بيدي.
- طب والشيخ رجب فين ما هو ده المفتاح اللي هيوصلنا للجزار
- قبل ما يجيء سألت عليه لقيته سافر من ساعه حادثة سعيد، أهله قالوا جاله شغلانة في مصر كم يوم بس لحد دلوقت ما رجعش طبعا.
- أنا أول حاجة لازم نبلغ الضابط بس الأول لازم تفضل معي واالك وهو يطلب الحساب وسأله مبروك هنروح فين؟ رد عليه مالك قال له: هنروح للحاج والدي لازم نأخذ رأيه هكلمه عقبال ما ناكل لقمة في مطعم جنب المحل يكون هو وصل. ثم استدرك مالك كأنه نسي شيئا فسأل:
- آه صح، لما أنت كنت عارف قصة التمثال، ليه اديته لأنس ومقولتش أي حاجة؟
- أولا يا بني أنا ماكنتش أعرف -رغم أن كان عندي نسبة شك كبيرة- إنه التمثال لأني مش هفتح حاجة ملفوفة واحد سيبهالي أمانة، حتي لو غريب عني، ثانيا أنا قلت لو كانت اللفة فيها التمثال، فيبقىٰ في إيدك أنت أمان، عشان ميعملوش

القصة دي تاني في مكان جديد، أنا معرفش التمثال ده حقيقي ولا مزيف، بس أكيد لما يبقىٰ في إيدك هايبقىٰ أفضل من أيديهم.

- تمام يا شيخ، يالا بينا نتغدىٰ
- هو التمثال وصلك؟ سأل مبروك وهو ينظر تلك النظرة التي تعني «أنا أعلم الإجابة».
- لا يا حاج، ولا أعرف عنه حاجة ولا عن الراجل اللي بعتهولك.

لم يتحدث الاثنان كثيرا أثناء الغذاء بل سادت المائدة الشرود من الطرفين وكاد الغذاء ينتهي بمشاجرة بينهما عندما أصر الشيخ مبروك علىٰ دفع الحساب ولكن مالك رفض تماما ولولا أن صاحب المحل يعرف مالك جيدا ولم يقبل نقود الشيخ مبروك.

وعندما وصلوا إلىٰ المحل وجد والد مالك في انتظارهم في المكتب وبدأ مالك بالتعارف:

- «ده والدي الحاج محمد العزازي وده يا حاج الشيخ مبروك اللي حكيت لك عنه» قال وهو يشير ناحية مبروك.

قام والد مالك باحترام وشد علىٰ يد الشيخ مبروك بقوة مرحبا به، ثم جلس معهما حول مائدة الاجتماعات الصغيرة في المكتب، ثم حكىٰ له مالك بالتفصيل كل ما قاله الشيخ مبروك منذ قليل والحاج محمد

لم يقاطعه ولا مره، داليا استمع بإصغاء شديد وتركيز في كل كلمة، وبعد ما انتهىٰ مالك من حديثه قال الحاج محمد:

- طيب يعني احنا عرفنا دلوقت مين اللي بيقتل بس مش عارفين بيقتل ليه ومين وراه.
- رد الشيخ مبروك هو لازم يكون في أحد وراه؟
- في بنت، هي اللي كانت بتحجز الرحلات دي وقالت معلومة غريبة جدا أن في ليستة أو لائحة بأسماء وأرقام الناس عشان يتصلوا بهم يعرضوا عليهم الرحلة، والغريب في الموضوع أن كل اللائحة دي بتبقىٰ مشتركه فيها فصيلة الدم ولو عرفنا مين اللي بيبعت الأسماء دي للشركة أكيد هو ده اللي هيبقىٰ وراء الجزار، شكلهم بيختاروا ناس معينة هي اللي تروح ولو ربطنا به جريمة قتل بطريقة بشعة وبين ناس رايحة بفصيلة دم معينة ده أكيد في حاجة أكبر من الجزار ده موجودة، ثم توجه بحديثه لمالك وطلب منه:
- مالك اتصل بالضابط سامح لازم نقابله، شوف الشيخ مبروك راجع بالسلامة امتىٰ هنوصله ونقابل الضابط نتكلم معه ثم اتجه بجسده تجاه الشيخ مبروك وسأله أنت ناوي ترجع امتىٰ يا حاج؟

قام مبروك من مجلسه وعدل هندامه وقال له: «دلوقتي باذن الله». فأشار إليه الحاج محمد بعلامة أن ينتظر وقال له «دلوقت ايه يا راجل؟

أنت لسه جاي من يوم سفر، وبعدين تيجي لحد مصر، ومش عايز تقرأ الفاتحة، ولا تصلي العشاء في الحسين؟ هنروح نصلي، ونطلع علىٰ البيت نريح ساعتين، ونتوكل علىٰ الله الفجر إن شاء الله.

وقبل أن يهما بالذهاب، رجع مالك وهو يمسك تليفونه، وهو يقول لوالده:

- استنىٰ يا حاج احنا مش هنسافر للضابط.
- ليه يا ابني؟ ما ردش عليك؟
- لا رد. بس هو هنا في مصر وطالب يقابلنا، ولما قلت له أننا كمان عايزينه والشيخ مبروك معانا، قال لي كويس لأنه عايزه هو كمان.

****



الحقيقة

اجتمع كل من الضابط ومبروك ومالك ووالده وهدير ووالدة مريم، في أحد الأماكن الهادئة التي تطل علىٰ النيل، ثم بدأ الضابط سامح كلامه، وهو يسأل بنبرة غامضة:

— اتفضلوا ادينا كلنا اتجمعنا، بناء علىٰ طلبكم، كنتوا عايزين تقولوا لي ايه؟

التفت مالك إلىٰ مبروك متسائلا «تحكي أنت ولا أحكي أنا؟»، فأشار إليه مبروك أن يبدأ هو، فقص مالك كل ما سمعه من مبروك للضابط والباقي، ولكن حين أتىٰ ذكر مريم... استشاطت والدتها غضبا، ثم وجهت حديثها للشيخ مبروك بعنف:

— يعني أنت كنت عارف مين اللي خطف مريم؟

فأجاب مبروك في توتر:

— يا هانم، أنا أقسم بالله ما عرفت غير من ساعة الحادثة الأخيرة، ومش متأكد كمان أن ليهم علاقة بمريم، هما بيقتلوا بالطريقة البشعة بتاعتهم دي، زي ما عملوا في الشباب اللي راح، لكن مريم، هو قال لي إنه مالوش علاقة بيها خالص.

- وأنت صدقته؟ تصدق واحد بيقتل ناس مالهاش ذنب بالبشاعة دي؟

نظر مبروك إلىٰ الأرض وهو يتنهد، ثم قال:

- أنا عارف إني غلطت إني صدقته، وذنب الشاب اللي راح ده في رقبتي، لأني ما بلغتش، بس أنا افتكرت إني بحمي ناس تانية ملهاش ذنب.
- ناس تانية اللي هما بناتك. صح؟
- مش بناتي وبس والله، أنا من يوم مريم وأنا ما بنامش والله، وكل يوم أدخل الصحراء، وأفضل ألف فيها، لحد ما رجلي متقدرش ترجعني بيتي، وياما رجعت شباب وبنات كانوا بيقربوا من منطقة التمثال.

هنا تدخل الضابط، الذي كان يجلس صامتا يستمع بكل التركيز في العالم لكل ما تم قصه منذ قليل، ثم أشار إلىٰ الجميع طالبا الهدوء، وهو يقول موجها حديثه إلىٰ والدة مريم:

- يا هانم، الشيخ مبروك مر بظروف صعبة -أكيد مش زي اللي أنتي مريتي بيها - وأنا متأكد أن زعله علىٰ اختفاء مريم، يكاد يوصل لزعلك أنتي نفسك عليها، وبعدين احنا عندنا أمل أن إن شاء الله مريم متكونش ليها علاقة بده كله، ونقدر نرجعها سليمة إن شاء الله.

صدرت تنهيدة حزينة من والدة مريم وهي تدعو «يا رب» بصوت هامس متكرر، ثم تابع الضابط موجها حديثه تجاه مالك ووالده:

- بالنسبة لأنس يا حاج محمد... آخر مرة كلمته امتىٰ؟
- من ساعة ما راح يقابل الشيخ مبروك وأنا معرفش عنه حاجة.
- طيب.. أنس كمان اتقتل في أسوان.
- اتقتل؟ وفي أسوان؟ إزاي؟
- أنس افتكر أن التمثال حقيقي، وحاول يبيعه لتجار آثار هناك، لكن الجزار راح وراه وقتله بنفس الطريقة بس ساب نصين الجثة.
- وعرف طريقة إزاي؟ وليه قتله بنفس الطريقة؟
- أنس أول ما راح أسوان، حاول يتواصل مع أصحاب المعارض، عشان يبيع لهم التمثال، طبعا الناس بلغت الشرطة هناك، وفضلوا متتبعينه، كان مأجر أوضة لوحده في فندق صغير، وهناك تمت الجريمة.
- بس هما عرفوا مكانه إزاي؟
- التمثال- بعد ما المعمل- فحصه لقىٰ فيه جهاز تتبع GPS وكمان حساس حركة.

سألت هدير:

- ايه حساس الحركة ده؟ وحاطين GPS في تمثال؟

- حساس الحركة ده وظيفته، إنه يدي إنذار لو حد حرك التمثال، واضح أن دي كانت إشارة بتروح للشيخ رجب، لما حد يحاول يحفر عند التمثال، والـ GPS ده جهاز صغير، له استخدامات كتير ومنتشر. أكيد كانوا عايزين تبقىٰ عيونهم ع التمثال طول الوقت.

سأل والد مالك موجها حديثه إلىٰ الضابط:

- ومعرفتوش بيقتلوا الناس بالطريقة البشعة دي إزاي؟ ده أنا كنت قربت أصدق أن فعلا في لعنة!

- الجهاز اللي شافه الشيخ مبروك عند رجب ... ده جهاز قطع بالليزر، يستخدم في قطع أي حاجة بدون أي شوائب، منتشر جدا في المصانع خصوصا مصانع الحديد، لكن الجهاز اللي معاهم - من وصف الشيخ مبروك - شكله حديث جدا لأن الأجهزة دي في الغالب بتبقىٰ حجمها كبير، المعمل الجنائي طلع تقريره أن القطع تم بالليزر، لكن لأن الاجهزة دي زي ماقلت لكم حجمها بيبقىٰ كبير، كان لغز بالنسبة لنا، بس الشيخ مبروك دلوقتي نور لنا حاجات كتير، هاتسهل من مهمتنا إن شاء الله.

«طب والعمل إيه دلوقتي؟»، سأل والد مالك.

أجاب سامح:

- دلوقتي حضراتكم هتروحوا علىٰ بيوتكم، وأنا هبتدي شغلي بناء علىٰ المعلومات الجديدة والقديمة، وأتواصل معاكم قريب إن شاء الله. وهم بالقيام، إلا أن والدة مريم استوقفته بسؤال:
- يعني في أمل حضرتك تلاقي مريم؟
- والله يا هانم، أنا أتمنىٰ أن مريم ميكنش ليها علاقة بالموضوع ده، وأكيد فيه زمايلي يبذلوا أقصي ما عندهم عشان يلاقوها، وأنا هتابع زمايلي أول بأول وأبلغك.
- شكرا يا ابني.

****



سامح

- «أيوة يا فندم ده كل اللي حصل». بعد أن انتهىٰ سامح من من تقريره أمام مديره في الهاتف، أجاب مديره:

- وأنت خطتك ايه؟

- كل الخيوط بتشير إلىٰ الجزار وبهاء الديك المحامي بتاع الدكتور عمران، والدكتور عمران نفسه، والدكتور عادل، الأربعة بيشتغلوا في مستشفىٰ الدكتور عمران، ورغم أن العيادة اللي بيعمل فيها الدكتور عمران عملياته، بإسم الدكتور عادل- اللي هو المساعد بتاعه-، لكن الدكتور عادل مش بيروح نهائي هناك، وده غريب، لأن دايما الدكتور عمران هو اللي بيعمل عملياته هناك.

- وغريب بردة، أن الدكتور عمران يبقىٰ عنده مستشفىٰ بتاعته، ويروح يعمل عمليات في عيادة دكتور تاني شغال عنده.

- بالظبط يا فندم، عشان كده أنا مكثف مراقبة العيادة، أكتر من المستشفىٰ نفسها.

- وايه نوع العمليات اللي بيعملها الدكتور عمران؟

- عمليات معقدة جدا سيادتك، قلب مفتوح، تغيير كلية، عمليات محتاجة تجهيزات خاصة جدا، وكلها متوفرة في العيادة، ده حتىٰ فيها غرفة عناية مركزة، وغرف مبيت للزوار.

- في حد منهم عليه أي قضايا سابقة؟

- مفيش غير الجزار.. بس مش قضية، كانت حالة اشتباه في خطف مراته وعشيقها، وخد كام يوم علىٰ ذمة القضية وبعدين طلع منها، وبالمناسبة يا أفندم...القضية دي تفتكر مين سيادتك الضابط المسئول عن التحقيق مع الجزار؟

- «بهاء قبل مايطلع معاش». أجاب المدير في شرود
- تمام سيادتك، وبعد ما خرج الجزار ب ست شهور قفل محله، لأن طلعت عليه إشاعة، إنه قتل مراته وعشيقها، وبعد ما قفل راح اشتغل مع بهاء في المستشفىٰ اللي اتعين فيها بهاء مستشار قانوني ومحامي للدكتور عمران.
- والجزار بيشتغل ايه هناك؟
- مدير الأغذية، واضح أنها شغلانة صورية، لأنه مش بيروح المستشفىٰ معظم الوقت..
- تمام، أنا أخدت لك إذن من مدير الأمن عندك، أنك تكمل في القضية من القاهرة، وهيديك كل الصلاحيات اللي هتحتاجها، وبلغني بتقرير يومي إيه اللي بيحصل.
- تمام يا أفندم. اتفضل.

بعد مرور عدة أيام طلب سامح مديره هاتفيا ودار بينهم ما يلي:

- اية الأخبار يا سامح؟
- انا شاكك في حاجة سيادتك، وعايز إذن نيابة أفتش العيادة في أسرع وقت.
- شاكك في إيه؟
- بص سيادتك، العيادة دي غير كل العيادات الطبيعية. ليه؟ أولا: العيادة دي فيها تلات أشخاص بيسلموا بعض ورادي، يعني متواجدين في العيادة ٢٤ ساعة في اليوم، دول طبعا غير طقم التمريض وعمال النظافة، اللي ليهم مواعيد ثابتة وبيروحوا ومحدش بيجي بدالهم، الـ تلات أشخاص دول من مراقبتهم، وعن طريق حساب كمية الأكل، اللي بياكلوها كل يوم سواء أكل من السوبر ماركت أو حتىٰ ديليفري من مطاعم، الكمية اللي بيطلبوها دايما بيجيبوا منها اتنين.
- قصدك أن في حد بيبقىٰ موجود غيرهم؟
- بالظبط كده، في حد موجود باستمرار في العيادة ومش بيخرج منها نهائيا.
- ودة ممكن يكون مين؟
- انا شاكك بنسبة كبيرة إنه الشيخ رجب، لأنه اختفىٰ طبعا من ساعة الحادثة الأخيرة.
- بس الشك ده مش هايكون سبب كافي للنيابة.

- يا فندم لو جمعنا كل الخيوط وقدمناها للنيابة، وخصوصا أن مواعيد سفر الجزار للواحة، مرتبطة بتوقيت الجرايم، اللي حصلت وكمان جريمة أسوان... عندنا إثبات إنه كان متواجد في أسوان وقت الجريمة.
- بس الجزار مالوش صفة رسمية مرتبطة بالعيادة، يعني حتىٰ لو أقنعنا النيابة أن الجرائم مرتبطة كلها بالجزار، العيادة مالهاش علاقة... طيب عموما سيبيني أعمل محاولة، وحتىٰ لو هاتحمل المسئولية بشكل شخصي، هاجيبلك الإذن.
- متشكر جدا يا فندم. اتفضل.

بعد مرور عدة أيام وصل إذن النيابة إلىٰ سامح، وتم بالفعل تفتيش العيادة وعندما انتهوا، خرج سامح مبتهجا ليهاتف مديره، الذي كان في انتظار تلك المحادثة علىٰ أحر من الجمر، وعندما رد المدير علىٰ سامح بادره سامح سريعا:

- مبروك يا فندم.
- كلمة مبروك حلوة، لقيت رجب؟
- لا يا فندم.
- الله... أومال مبروك علىٰ ايه؟
- لقيت أهم دليل في القضية كلها... لقيت مريم.
- مريم؟ معقولة كانت لسة عايشة كل ده؟

- أيوة يا فندم، طبعا البنت مدمرة نفسيا بس مش قادر أوصف لك سعادتها كانت إزاي أول ما دخلنا عليها الأوضة اللي كانوا حابسينها فيها.

- الله ينور عليك يا سامح، شغل ممتاز، ده دليل قوي جدا، نجيب بيه العصابة كلها.

- الشكر كله ليك يا فندم، أنك وثقت فيا، وفي حدسي.

- لو الضابط مسمعش الصوت اللي جواه ويحركه من غير حتىٰ دليل... يبقىٰ موظف، مش ظابط.

- بنتعلم منك يا فندم.

- طلع أمر بالقبض علىٰ العصابة دي كلها، وباشر أنت بنفسك التحقيق معاهم، ومريم متغبش عن عينك لحظة، دي الشاهدة الأساسية في القضية، وأكيد هيحاولوا يسكتوها بأي شكل.

- تمام سيادتك، أنا هاعين علىٰ البيت بتاعها حراسة ٢٤ ساعة لحد ما تتعافي وتقدر تشهد.
- شغل كويس يا سامح، بس خلي بالك احنا لسة ما حطناش حد في زنزانة، دي اللي هتبقىٰ مبروك بجد.
- تمام سيادتك، مش هاسيبهم غير لما أحطهم كلهم في السجن.



الدكتور عمران

لم يكف الدكتور عمران عن قضم أظافره، حتىٰ كاد يصل إلىٰ عظام يده من شدة التوتر، وهو يجلس في صالون منزله المذهب، في انتظار بهاء الديك، وعندما سمع صوت بوابة الفيلا الخارجية تفتح من الأمن، لم يستطع الانتظار أكثر من ذلك، فقام مسرعا لفتح الباب الداخلي للفيلا، حتىٰ قبل أن يطرق بهاء الباب، وعندما رأىٰ بهاء، قام بشد شعره أمامه وهو يكاد يبكي من الرعب وهو يقول:

- مطلوبين في النيابة يا بهاء، خلاص... كل حاجة خلصت، وهنخش السجن، يا نهار أسود، أنا بعد العمر ده كله أدخل السجن، عرفوا إزاي؟ ها؟ انت قايل لي أن كل حاجة تمام، فين التمام ده، كل حاجة راحت، ومسكوا البت... ها؟ يا ريتني سمعت كلامك وخلصنا منها في وقتها، بس أنا اللي طمعت، قلت نخليها يمكن يجيلنا زبون، فصيلة دمها نادرة، مش هانلاقيها، يا ريتني سمعت كلامك، هاخش السجن يا بهاء، الحقني... أرجوك، اتصرف، أنا ممكن ادفع كل فلوسي وتخرجني من الورطة دي .

كان بهاء قد جلس علىٰ كرسي مريح، وأشعل سيجارة وهو ينظر إلىٰ عمران باستخفاف، منتظرا أن ينتهي من ولولته ونواحه المستمر،

وعندما انتهىٰ عمران، رمىٰ بنفسه علىٰ مقعد في مواجهة بهاء، وكأن طاقته قد استنفذت بعد فاصل البكاء من لحظات.

- «كل فلوسك؟». سأل بهاء بهدوء، فنظر إليه عمران مندهشا غير مستوعب وسأل:
- كل فلوسي إيه؟ مش فاهم.
- بتقول تدفع كل فلوسك، وتخرج من الورطة دي .
- «هو ده اللي أنت سمعته من كل اللي قلته؟ «قال عمران صارخا، ثم سكت للحظة وعلت وجهه نظرة أمل مفاجئة، فقام مرة أخرىٰ وجلس علىٰ ركبتيه أمام بهاء وهو يسأل:
- ايه ده؟ يعني أنت ممكن تخرجني منها بجد؟ قول والنبي يا بهاء، ممكن تخرجني. ها؟
- ممكن، بس محتاج فلوس كتير، كتير أوي.

تراجع مرة أخرىٰ عمران إلىٰ مقعده، وهو يحك مؤخرة شعره بعنف ويسأل في ريبة:

- فلوس كتير كام يعني؟
- شوف أنت حريتك وسمعتك تمنهم كام.
- قول يا بهاء وخلصني، أنا مش ناقص ألغاز وحياة أبوك.
- ١٠ مليون.

- يا نهار أسود، ١٠ مليون ليه، هتشتري الداخلية كلها ولا ايه؟

- لا مش هشتري حاجة من الداخلية، دول فلوس الناس اللي هتشيل القضية مكانك.

- «مكاني؟ مكإني لوحدي ولا ايه؟». قال عمران بخبث.

- طبعا مكانك يا دكتور، أنت عارف إني ماليش أي علاقة بأي حاجة، أنا مجرد المحامي بتاعك.

- «مجرد محامي؟... ده أنت اللي عامل كل حاجة بنفسك»، قال عمران وكأنه يخاطب نفسه، ثم استدرك يسأل:

- طب ١٠ مليون ليه؟ هاتديهم لمين؟

- ٤ للجزار و٤ للدكتور عادل وأنا اتعابي ٢، يبقىٰ كده ال ١٠ مقفولين.

- ٤ و٤ و٢، طب ٤ للجزار مفهومة، كده كده البنت شافته وها تشهد عليه، الدكتور عادل ليه ٤، وأنت اتعابك ٢ ليه؟ مانت كنت بتاخد فلوس قد كده من كل عملية.

- أفهمك... ٤ للجزار، مش بس عشان البنت شافته، لكن كمان عشان سكوته، وقضيته بتاع مراته أنا مسجل له اعترافه كامل ومحتفظ بيه، وهو نفسه ميعرفش كده، بس قلت ورقة أشيلها معايا، ولو ظهرت الورقة دي مش هيبقىٰ قدام

المحكمـة غيـر الإعـدام، و٤ للـدكتور عـادل، عشـان يسـكت بـردو، هـو كـل حاجـة باسـمة آه، وكـده كـده هيتحبس، بـس الداخلية هتعمل معاه اتفاق أنـه يشـهد عليـك، ويخففـوا عنـه الحكـم، ف ال ٤ دول مقابـل سـكوته، غيـر طبعـا ضـمان مننـا لسلامة عيلته، اللي ممكن حادثة عربية تخلص عليهم كلهـم، وال ٢ بتوعي عشان زي مانت قلت بالظبط... انـا اللـي بفكـر هنا يا دكتور، وأنا صـاحب الفكـرة مـن أولهـا، مـن أول زبـون جالـك، وعـايز عمليـة نقـل الأعضـاء، وأنـت كنـت محتـاس ومش عارف تعمل ايه، أنا اللـي فكـرت في الطريقـة، وربطتهـا بلعنة في الواحة... سمعتها لما سافرت فيها من كام سنة، وأنـا اللـي كنـت ببعـت أسـماء المرشـحين لشـركات السـياحة، بالمواصفات اللي أنت تحـددها، فصيلة دمهـم وسـنهم وكـل ده، وأنـا بـردو اللـي كنـت بشـتري مـن شـركات التليفونـات والبنـوك بيانـات العمـلاء بتـوعهم، أنـا اللـي كنـت بعمـل كـل حاجة يا دكتور، وأجيبلك الراجل - أو نص الراجـل- جـاهز لعمليتك، وحتى البنت اللي جبناها كاملة -بناء على طلبك- عشان كان لازم ما يعديش أكتر من ٤ ساعات من موتها، قلت لـك نموتهـا، طالمـا ملحقنـاش الزبـون ومـات قبـل مـا البنـت توصل للعيادة، أنا اللي كنت بعمـل كـل حاجـة يـا دكتـور، ف مش كتير ٢ مليون مقابل كل ده بالإضافة لحريتك طبعا.

صمت «عمران» وهو يفكر عميقا فيما قاله «بهاء» منذ لحظات، وكأنه يحسب خسائره من كل ما حدث، وفي المقابل، لم يتحدث «بهاء» مرة أخرىٰ، منتظرا رد «عمران» رغم أنه يعلم في داخله أن عمران لا يفكر في الموافقة أو الرفض، فهو لا يملك الاختيار... بل يفكر في كيف سيعوض الـ ١٠ مليون، وبأي طريقة.

- ماشي يا بهاء، ال ١٠ مليون هيكونوا عندك بكرة الصبح، بس قولي هنقول ايه في النيابة بكرة؟

- هنقول الحقيقة طبعا، أنت دكتور كبير متخصص في العمليات المعقدة، وكان الدكتور عادل يطلبك في عيادته تعمل العمليات دي، من غير ما تعرف أي حاجة، ولما سألت عن الأعضاء دي بتيجي منين، قال لك.. متبرعين أو جثث أهلهم وافقوا علىٰ التبرع بأعضائهم، وكل ده موثق بأوراق، متقلقش يا دكتور. أنا أعرف أحميك كويس.

تغيرت لهجة «عمران» المتوترة، وحلت مكانها نبرة حماس، بعد أن اطمئن علىٰ القضية وهو يسمع فكرة «بهاء».

- رغم أنك أكبر طماع في الدنيا، لكن أنت بردو أكبر شيطان في الدنيا، وأنا مبسوط أوي بموضوع الحماية ده، مكنتش أعرف أنك بتحبني كده، وعندك إخلاص ليا.



- حب ايه بس يا دكتور وإخلاص ايه، للأسف أنت بردو حمايتي، أنا لوحدي من غير سقف فوقي معرفش أشتغل، وأنت لوحدك من غير أرض ثابتة تقف عليها، متعرفش تشتغل، من الآخر كل واحد فينا بيكمل الثاني.

****



النهاية

اجتمع كل من مالك ومبروك وسامح ومريم ووالدتها وهدير في نفس المكان، وعلت وجوه الجميع نظرة حزن، وبدا مالك غاضبا للغاية وهو يسأل سامح بعصبية:

- يعني بعد كل اللي عملوه ده يخرجوا منها؟
- للأسف يا مالك، اتنين اتحكم عليهم، واتنين طلعوا منها، وللأسف... الاتنين الكبار هما اللي طلعوا وشيلوها للصغيرين.
- المحامي بتاعهم ده شيطان، أقطع دراعي أن هو أصلا اللي بيدبر كل حاجة.
- في الغالب أنت صح، بس القانون، زي ما بيجيب حقوق الناس، نفس القانون يقدر يضيعها.
- يعني كده خلاص؟ مفيش أي أمل؟
- الأمل في ربنا سبحانه وتعالىٰ، هما دلوقتي بقوا مكشوفين، الدراع اللي بتعمل شغلهم القذر اتقطعت، والستارة اللي مستخبين وراها اتشالت، واللي متأكد منه أن المجرم عمرة ما بيشبع، وطمعهم هايخليهم يعملوا حاجة تاني، بس المرة دي ها نكون جاهزين لها كويس، احنا بنراقبهم، واللي زي دول

ممكن يكونوا بيعملوا عمليات قذرة زي دي في مكان تاني، وأكيد هايغلطوا.

ثم قام من مقعده وهو يقول:

- انا مضطر امشي ع الواحة، حمدا لله علىٰ سلامة مريم، ومتقلقيش عليها، أنا أخدت لك تعهد بعدم التعرض منهم، يعني هما ها يخافوا يمشوا جنبها حتىٰ. مع السلامة.
- متشكرة يا بني علىٰ أنك رجعت لي بنتي، واسفة يا شيخ مبروك علىٰ عصبيتي المرة اللي فاتت.
- دي بنتي يا هانم - ده بعد اذنك طبعا - وفرحتي برجوعها، مش قادر أوصفها لك. أي نعم المجرمين الحقيقين، قدروا يطلعوا منها. لكن رجوع مريم عندي بالدنيا، وأعتقد أننا كده وقفناهم عن شرورهم، حتىٰ لو متقبضش عليهم، بس في أرواح كتير هاتنجىٰ بعد اللي حصل.

****

انتهت